ختام عام بالتلبية .. والحج المبرور

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية • العدد ٥٥٧ السنة السادسة والأربعون - ذو الحجة ١٤٢٨ هـ •
الثمن ٢ جنيهات

تحذير العباد من مغبة ظهور الفساد

أضحية العيد ودعوة التوحيد

فقر المشاعر بين الزوجة ووالدي زوجها

خير أيام الدنيا





مظاهر تعظيم البيت الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها
والله الموفق

السلام عليكم

أعظم الذنوب إثمًا

قال ابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين (١/ ١٣): «حرَّم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها فقال تعالى: « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (الأعراف: ٣٣).

فرتب المحرمات أربع مراتب؛ وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثَنَّى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثُمَّ ثلَّث بما هو أعظم تحريمًا منهما، وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم.

وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه. قال تعالى: « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ » (النحل: ١١٦)، « مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النحل: ١١٧).

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وذلك بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول: هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه». انتهى بتصرف.

فليحذر من يتصدى للفتوى أن يقول على الله بغير علم.

التحرير

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي



في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد، على مكتب بريد عابدين، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة، باسم مجلة التوحيد، أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

وجوب إحسان الظن بالله تعالى وأهميته

الحلقة الثالثة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تحدثت في اللقاء السابق عن بعض الآيات الواردة والداعية إلى إحسان الظن بالله تعالى، ويطول الكلام حول ذلك، ولهذا سأقتصر على ما أشرت إليه من آيات، لأذكر هنا بعض الأحاديث النبوية المتعلقة بذلك، وأقوال بعض أهل العلم في هذه المسألة، فأقول وبالله التوفيق:

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». (البخاري: ٧٤٠٥).

ففي هذا الحديث دعوة إلى إحسان الظن بالله سبحانه، وتغليب الرجاء فيما عنده جل وعلا، وبيان أن الله تبارك وتعالى يحقق للعبد طلبه بعد بذل الأسباب المشروعة، والسعي إلى الطاعة والعبادة، وقد جاء في الحديث بعض مفردات العبادة كالذكر، وقد فقه علماؤنا ذلك من الحديث.

قال القرطبي رحمه الله: «معنى «ظن عبدي بي» ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده، ويؤيده قوله في الحديث الآخر: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»، ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له، لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد». (فتح الباري ١٣/٣٨٦).

والنبي صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس بالله ذكر عجبه لأمر المؤمن لكثرة نعمة الله عليه وتقلبه في جميع أحواله إذا التزم بشرعه في خيره وفضله، كما في حديث صهيب قال: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». (مسلم: ٢٩٩٩).

كما رغب النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن عند

موته بحسن ظنه بربه، كما في حديث جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله». (مسلم: ٢٨٧٧).

وقد ذكر النووي رحمه الله أن بعض العلماء قال: «معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه». (شرح النووي على مسلم ١٧/٢١٠).

وأخرج الترمذي وغيره عن أنس رضي الله أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «قَالَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». وقد حسَّن الألباني إسناده كما في السلسلة الصحيحة (١/١٩٩).

والحديث يدل على وجوب إحسان الظن بالله تعالى، وأن أساس ذلك تحقيق التوحيد مع إخلاص الدعاء، والاستغفار، ولذلك أدرجه الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد تحت باب عنونه بقوله: «باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب»، وقال ابن رجب: «من أسباب المغفرة: التوحيدُ، وهو السببُ الأعظم، فمن فقده، فَقَدَ المغفرة، ومن جاء به، فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، فمن جاء مع التوحيد بقُراب الأرض-وهو ملؤها أو ما يُقارب ملأها- خطايا، لقيه الله بقُرابها مغفرة، لكنَّ هذا مع مشيئة الله-عز وجل-، فإنْ شاء غَفَرَ له، وإنْ شاء آخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أنْ لا يُخلَّد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنَّة.

قال بعضهم: الموحِّد لا يُلقى في النار كما يُلقى الكفار، ولا يَلقى فيها ما يَلقى الكفار، ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار، فإنْ كمُلَ توحيدُ العبد وإخلاصُه لله فيه، وقام بشروطه كلِّها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عندَ الموت، أوجبَ ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلِّها، ومنعه من دخول النَّار بالكلية.

فمن تحقَّق بكلمة التوحيد قَلبُه، أخرجت منه كلَّ ما سوى الله محبةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابةً، وخشيةً، ورجاءً وتوكُّلاً، وحينئذ تُحْرَقُ ذنوبه وخطاياه كلُّها ولو كانت مثلَ زبد البحر، وربما قلبتها حسناتٍ». (جامع العلوم والحكم ص٥٩٠).

قلتُ: هذا الكلام دقيق وفي غاية النفاسة، وهو يدل على بركة التوحيد وأن صاحبه له عند ربه من مغفرة الذنوب ما ليس لغيره، وهذا يدفع الموحد إلى حسن الظن بربه، وإذا ارتكب الموحد ذنبًا أو وقع في معصية فعليه التوبة الصادقة، والعودة إلى ربه، وليعلم أن الله يحب ذلك ويفرح به، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَلَّه أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللَّه أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ». (مسلم: ٢٧٤٤).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ الله لقاءه»، زاد البخاري في رواية من طريق همام عن قتادة: فقالت عائشة- أو بعض أزواجه-: «إنَّا لنكرهُ الموتَ، قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حَضَرَهُ الموتُ بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه، فأحبَّ لقاءَ الله، فأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضر بُشِّر بعذاب الله وعُقُوبته، فليس شيء أكْرَهَ إليه مما أمامه، كَرِهَ لقاءَ الله، وكَرِهَ الله لقاءه». (البخاري: ٦٥٠٧).

قال ابن عبد البر في شرحه للحديث: «وهذا الحديث معناه عند أهل العلم فيما يعانيه المرء عند حضور أجله، فإذا رأى ما يكره لم

يحب الخروج من الدنيا ولا لقاء الله؛ لسوء ما عاين مما يصير إليه، وإذا رأى ما يحب أحب لقاء الله والإسراع إلى رحمته؛ لحسن ما عاين وبُشّر به وليس حب الموت ولا كراهيته والمرء في صحته من هذا المعنى في شيء، والله أعلم» (التمهيد: ١٨/ ٢٥).

وهذا الحديث يدل على وجوب حسن الظن بالله على الدوام، وإلى خروج الإنسان من الدنيا، ويتأكد ذلك عند نزول الموت بالعبد.

قال النووي: «واتفق أصحابنا وغيرهم على أنه يستحب للمريض ومن حضرته أسباب الموت ومعاناته أن يكون حسن الظن بالله تعالى». (المجموع شرح المهذب ٥/ ١٠٨).

وقد كان الصحابة- رضوان الله عليهم- يحسن أحدهم الظن بأخيه، ويبشره بعفو الله ورحمته، خاصة عند الموت، كما في حديث ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: «وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِه فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ فَلَمْ يَرُعْنِي إِلاَّ رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». (البخاري: ٣٦٨٥).

قال ابن حجر في شرح لقوله في الحديث: «أن يجعلك الله مع صاحبيك» يحتمل أن يريد ما وقع وهو دفنه عندهما، ويحتمل أن يريد بالمعية ما يؤول إليه الأمر بعد الموت من دخول الجنة ونحو ذلك». (فتح الباري ١/ ٤٩).

وقد أحسن بلال بن رباح ظنه بربه وهو يحتضر قال سعيد بن عبد العزيز: «لما احتُضر بلال قال: غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه، قال: تقول امرأته: وابلاه، فقال: وافرحاه». (سير أعلام النبلاء ١/ ٣٥٩).

والواجب على العبد المؤمن أن يحسن ظنه بربه على كل حال، وليعلم أنه على خير عظيم بذلك، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره، لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه؛ ذلك بأن الخير في يده». (حسن الظن لابن أبي الدنيا ص٩٦).

ولأهمية حسن الظن بالله تعالى ومنزلته من الدين أدخله بعض الأئمة في مسائل الاعتقاد، فهذا الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يعقد بابًا في كتاب التوحيد عنونه بقوله: «باب قول الله تعالى: يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية»، وعلق الشيخ سليمان به عبد الله رحمه الله على هذا الباب تعليقًا جميلاً، ومما ذكر فيه: «أراد المصنف بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله، لأن ذلك من واجبات التوحيد، ولذلك ذمَّ الله من أساء الظن بالله، لأن مبنى حسن الظن: على العلم برحمة الله وعزته، وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة المتوكل عليه، فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله، وقد ينشأ حسن الظن من مشاهدة بعض هذه الصفات، وبالجملة فمن قام بقلبه معاني أسماء الله وصفاته، قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة». (تيسير العزيز الحميد ص٦٧١).

وأقول تعليقًا على هذا الكلام النفيس: إن حسن الظن بالله واجب سواء كان فيما يفعله في الكون ويقدره، لأن أفعاله لا تخرج عن الحكمة، أو فيما يتعلق بالعبد، فعليه أن يحسن الظن بربه ويعتقد قبوله عمله بشرط الإخلاص والمتابعة.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا من المحسنين الظن بالله، الطامعين في عفوه ورحمته، مع العمل الصالح الذي يرضيه، وللحديث صلة إن شاء الله.



ختام عام بالتلبية.. والحج المبرور

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله على إحسانه، الشكر له على توفيقه وامتنانه، وبعد:

تنقضي الأيام، وسرعان ما تذهب ريحها، وما هي إلا أيام قليلة وينقضي عام هجري أطلّ علينا، وسرعان ما انتهى، غاب عنا من غاب، ومرض من كان صحيحًا، وخسر فيه من خسر، وحصد الخير من ابتغاه وعمل على نيله، وفق المولى سبحانه الطائعين إلى ختام عامهم بالتلبية، وحج بيت الله الحرام، فبدؤوا يتوافدون إلى الأراضي المقدسة ليختم الله لهم ومن تقبّل منه، بمسك الختام، فاللهم اكتبنا منهم يا رب العالمين.

فلتحفظوا على أنفسكم الأوقات، وأطيبوا لأنفسكم الأقوات، ولا تنالوا إلا حلها، وزنوا الأعمال بميزان الشرع، وصححوا المقاصد والنيات، وخذوا بالإخلاص فضلها، وراقبوا في السّر والجهر عالم الخفيات، فما أحسن المراقبة وأجلها، واغتنموا أيامكم الفاضلة قبل الفوات، فهنيئًا لمن وفّقه الله سبحانه فكتب له حسان هذا العام بأن وفقه إلى خير الختام، فاحمدوا الله على أن حباكم من هذه النعم، واشكروه فقد تأذن بالزيادة لمن شكر.

منزلة الحج عند الله عظيمة

إن انقضاء الأعوام سرعان ما يذكرنا بانقضاء الأعمار، فهنيئًا لمن وفقه الله سبحانه لتلك الخاتمة، وبلوغ بيت الله المعظم، هنيئًا لكم هذه الشعائر والمشاعر، شرف الزمان وشرف المكان مع عظيم الأعمال، فاحمدوا الله على ما حباكم من هذه النعم.

إن قصد هذه البقاع الطاهرة لمن وفقه الله إليها يُكفّر الذنوب، ويمحو الآثام، ويحط الأوزار، بل ليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة.

إن منزلة الحج عند الله عظيمة، ومكانته في الدين كبيرة، أوجبه الله بقوله: « وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ» (آل عمران:٩٧).

أما فضله فقد قال رسول البشرية صلى الله عليه وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». (رواه البخاري ومسلم).

وقد سُئل صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله عز وجل». قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الحج المبرور». (رواه البخاري ومسلم).

عَنْ ابْنِ عَبَّاس قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بَيْنَ مَكَّة وَالْمَدِينَة فَمَرَرْنَا بِوَاد فَقَالَ: أَيّ وَاد هَذَا؟ فَقَالُوا: وَادِي الأَزْرَق، فَقَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ-فَذَكَرَ مِنْ لَوْنه وَشَعَره شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ- وَاضِعًا إِصْبَعَيْه فِي أُذُنَيْه لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّه بِالتَّلْبِيَة مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي. قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّة، فَقَال:

أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟ قَالُوا هَرْشَى أَوْ لِفْتٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا».(صحيح مسلم ١٦٦).

إنها تجارة الدنيا والآخرة، وربح الدارين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «تابعوا بين الحج والعُمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد». (رواه أحمد والترمذي).

فيا من كَتَبَ الله له الحج ووفقه لبلوغ هذا العمل، عليك أن تُدرك جيدًا أن زكاء النفس وزيادة الإيمان وحصول التقوى يكون حين يقبل المسلم على عبادته بأدب وخشوع، ويتفرغ لما جاء له وما قصده، حافظًا وقته مخلصًا لربه، كما ينبغي السؤال عن الأحكام الشرعية قبل الشروع في العمل، فكم من حاج يعبدُ الله على جهل لا يتعلم ولا يسأل، وكم من مُستفتٍ لو سأل قبل العمل لم يقع في الخطأ.

ومن أهم الأعمال لمن رزقه الله الحج وذهب إلى بيت الله الحرام هو توحيد رب العالمين القائل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ (الحج:٢٦)، فالشرك محبط للعمل.

وكذا ذكر الله تعالى، فهو سمةٌ بارزة في الحج، وهو إعلان التوحيد الذي هو شعار الحج: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك». وقال الله سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة:٢٠٣).

الفرصة لا تزال سانحة لمن لم يوفقه الله لحج البيت

فيا من لم يوفقه الله سبحانه لحج بيت الله الحرام، ليؤدي ركنًا ركينًا من أركان الإسلام، فعما قليل سيحل الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة، وهي أيامٌ عظَّم الله قدرها، ورفع ذكرها، وأقسم بها في كتابه فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر:٢)، وفي صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما العمل في أيام أفضل من هذه العشر» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: « ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء».

ويستحب فيها الإكثار من الصالحات، وأنواع النوافل، والتكبير، والتحميد، والتهليل، فأحيوا هذه السنن، وابتغوا عند الله الخير، ومن لم يكن حاجًا فيستحب له صيام يوم عرفة؛ لحديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن صوم يوم عرفة: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» (رواه مسلم: ١١٦٢).

ومن نوى أن يضحي فلا يقص شيئًا من شعره أو ظفره مع دخول العشر إلى أن يضحي، فرب العباد كريم بعفوه ويصفحه ويكرمه.

الحج آية من آيات الله العظمى

وإذا كنا على مقربة من ختام لعام نسأل الله أن يختمه لنا بالخير والقبول، فإن من وفقه الله سبحانه لخير الختام وكتب له حجًا مبرورًا متقبلاً، فالحج برهان عملي على أن المسلم يُقدِّم حب الله عز وجل على ماله وأهله وعمله ودياره، فيتحمل مشاق السفر، وترك الأهل وبذل المال استجابة لأمر الله عز وجل وابتغاء لرضوانه.

كما أن في الحج تعويدًا للمسلم على الصبر وتحمل الشدائد، وصعوبة العيش، وترك كل أسباب الراحة والرفاهية حتى إذا ما دعا داعي الجهاد خرج سباقًا لبذل كل غال ورخيص في سبيل الله تبارك وتعالى.

وفي الحج تقوية للإيمان، وتهذيب للنفوس، وتكفير للذنوب، حيث يتوجه المسلم المتفرغ للعبادة، والطاعة وذكر الله.

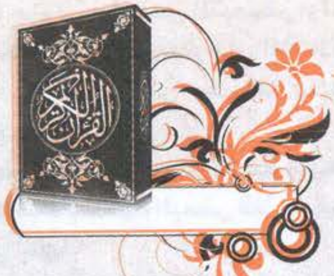
وفي الحج غفران للذنوب ومحو للسيئات ومضاعفة للأجور وإجابة الدعوات، كما أن المسلم يقبل على تلك البقاع وهو متجرد من زينة الدنيا لا تشغله زخارفها الزائلة ولا تفتنه، حاسر الرأس، متجردًا من المخيط مشتمل الإزار ملبيًا ضارعًا مستغفرًا، فيهزه جلال الموقف فيخشع قلبه وتفيض بالدمع عيناه.

وفي الحج المساواة التامة والأخوة الإنسانية تتجلى بأجلى صورها وأظهر معانيها لا فرق بين غني وفقير ولا بين أبيض وأسود، ولا بين رئيس ومرؤوس فتترکز هذه المعاني في نفوس المسلمين.

وفي الحج الارتباط بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن نبينا إبراهيم عليه السلام وبناؤه للبيت إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لتلك الأراضي المقدسة.

روى مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَمَرَرْنَا بِوَادٍ فَقَالَ أَيُّ وَادٍ هَذَا؟ فَقَالُوا وَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعَرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ- وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي، قَالَ ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ، فَقَالَ: أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟ قَالُوا هَرْشَى أَوْ لِفْتٌ. فَقَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا. (مسلم: ١٦٦). وآيات الحج وفوائده لا تُعدّ ولا تحصى.

فاللهم اختم لنا بالصالحات أعمالنا، ووفقنا لما تحبه وترضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب التفسير

سُورَة الأَحْقَاف

الحلقة الأخيرة

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: « قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ »

(الأحقاف: ٣٠- ٣٥).

وَهَذَا يُفيدُ أَنَّ منَ الْوَاجب عَلَى الْإِنْسَان حينَ يَشْرَحُ اللّه صَدْرَهُ للْخَيْر، حينَ يَشْرَحُ اللّهُ صَدْرَهُ للإِسْلَام، حينَ يُعَلِّمُهُ اللّه الْهُدَى وَدينَ الْحق، يَجبُ عَلَيْه أَنْ يَتَحوَّلَ إلَى دَاعيَة مُبَاشَرَةً، فَيَجبُ عَلَيْكَ فَوْرَ الهدَايَة أَنْ تَتَحوَّلَ إلَى دَاعيَة مُبَاشَرَةً تَدْعُو النَّاسَ إلَى مَا هَدَاكَ اللّه إلَيْه: « وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ »**(التوبة: ١٢٢).**

فَبِمُجَرَّد أَنْ يَهْديَكَ اللّه، وَتَعْرفَ الطَّريقَ، تَتَحوَّلُ إلَى دَاعيَة، تَدْعُو النَّاسَ إلَى الْهُدَى وَدين الْحَقِّ، تَدْعُو النَّاسَ إلَى مَا تَعَلَّمْتَهُ منَ الْحَقِّ، لَيْسَ منَ الضَّرُوريِّ

أنْ تنْتظر حتَّى تُحصِّل علمًا وتكون عالمًا، ولكنْ متَى تعلَّمْت شيْئًا فادْعُ إليْه. هكذا فعلت الجنُّ، وهكذا كان الصَّحابة يفعلون، كان الْواحدُ يأتي رسُول الله صلى الله عليه وسلم يقْعدُ عنْدهُ يوْميْن أوْ ثلاثة ثُمَّ يرْجعُ إلى قوْمه داعية.

وقال تعالى: «قالُوا يا قوْمنا إنَّا سمعْنا كتابًا أنْزل منْ بعْد مُوسى مُصدِّقًا لما بيْن يديْه يهْدي إلى الْحقِّ وإلى طريق مُسْتقيم»:

إنَّما خصُّوا مُوسى بالذِّكْر دُون منْ بعْدهُ من الأنْبياء لأنَّ التَّوْراة هي الْكتابُ الأُمُّ، هي الشَّريعة الأُمُّ الَّتي جعلها اللهُ تعالى لبني إسْرائيل، كما قال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ» (المائدة: ٤٤)، أمَّا زبُور داوُود فكان عبارة عنْ مواعظ ورقائق، وترْغيب وترْهيب، وكذلك إنْجيلُ عيسى كان أكْثرُهُ مواعظ ورقائق، ولمْ يكُنْ فيه من الْحلال والْحرام إلاَّ ما قال عيسى عليه السلام: «وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» (آل عمران: ٥٠)، فكانت التَّوْراةُ هي الْكتاب الأُمَّ، فلذلك صرَّحُوا بها وسكتُوا عمَّا بعْدها.

«قالُوا يا قوْمنا إنَّا سمعْنا كتابًا أُنْزل منْ بعْد مُوسى مُصدِّقًا لما بيْن يديْه يهْدي إلى الْحقِّ وإلى طريق مُسْتقيم»:

يقُولُون: هذا الْكتابُ الَّذي اسْتمعْنا إليْه يُصدِّقُ ما بيْن يديْه من الْكُتُب، لأنَّ الْكُتُب السَّابقة بشَّرتْ بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فكان مجيئُهُ تصْديقًا لها، فلوْ لمْ يجئْ ما صدقتْ أخْبارُها، ولا صدقتْ أنْباؤُها، فلمَّا جاء صلى الله عليه وسلم كان مجيئُهُ تصْديقًا لما جاءتْ به التَّوْراةُ والإنْجيل وغيْرُها من الْكُتُب، «يهْدي إلى الْحقِّ» في الاعْتقاد، «وإلى طريق مُسْتقيم» في الْعبادات والْمُعاملات، والأخْلاق والآداب.

«يا قوْمنا أجيبُوا داعي الله وآمنُوا به يغْفرْ لكُمْ منْ ذُنُوبكُمْ ويُجرْكُمْ منْ عذاب أليم»:

فإنْ قيل: لماذا جاء بـ «منْ» وهي للتَّبْعيض، ولمْ يقُلْ: يغْفرْ لكُمْ ذُنُوبكُمْ، ومعْلُومٌ أنَّ الإسْلام يجُبُّ ما قبْلهُ، كما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم. (أخرجه مسلم ١٢١).

فالْجواب: يجُبُّ ما قبْلهُ فيما بيْن الْعبْد وربِّه، أمَّا فيما بيْن الْعباد بعْضهُمُ الْبعْض فلا بُدَّ منْ ردِّ الْمظالم إلى أهْلها.

فلمَّا دعوْهُمْ بطريقة التَّرْغيب أتْبعُوا ذلك بالتَّرْهيب فقالُوا: «ومنْ لا يُجبْ داعي الله فليْس بمُعْجز في الأرْض» إذا أراد اللهُ أنْ يأخُذهُ بكُفْره، «وليْس لهُ منْ دُونه أوْلياءُ» ينْصُرُونهُ ويرُدُّون عنْهُ عذاب الله، «أُولئك» الَّذين لمْ يسْتجيبُوا لرسُول الله، ولمْ يتَّبعُوا الْهُدى الَّذي بعثهُ به اللهُ، «في ضلال مُبين» أيْ ظاهر جليٍّ، لا يخْفى على عاقل، كما قال تعالى: «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ» (القصص: ٥٠).

«أولمْ يروْا أنَّ الله الَّذي خلق السَّماوات والأرْض ولمْ يعْي بخلْقهنَّ بقادر على أنْ يُحْيي الْموْتى بلى إنَّهُ على كُلِّ شيْء قديرٌ»:

هذا من الله تعالى إرْشادٌ لذلك الْكافر الْعاقِّ الَّذي أنْكر الْبعْث و: «قال لوالديْه أُفٍّ لكُما أتعدانني أنْ أُخْرج وقدْ خلت الْقُرُونُ منْ قبْلي»؟!

يقُولُ تعالى: أو لمْ ير الْمُنْكرُون للْبعْث أنَّ الله تعالى خلق السَّموات والأرْض وهُما أشدُّ وأكْبرُ منْ خلْق الإنْسان، «ولمْ يعْي بخلْقهنَّ» أيْ: لمْ يعْجزْ عنْ ذلك ولا ضعُف عنْهُ، «بقادر على أنْ يُحْيي الْموْتى»؟ ثُمَّ قال تعالى: «بلى» وهي لنفْي النَّفْي، فتُثْبتُ الْقُدْرة لله تعالى على إحْياء الْموْتى، «إنَّهُ على كُلِّ شيْء قديرٌ» وبعْثُ الْموْتى شيْءٌ من الأشْياء الدَّاخلة تحْت الْقُدْرة.

«ويوْم يُعْرضُ الَّذين كفرُوا على النَّار» فيُقالُ لهُمْ تقْريعًا وتوْبيخًا «أليْس هذا» الْعذابُ الَّذي ترْونهُ «بالْحقِّ»؟ «قالُوا» وقدْ علاهُمُ الذُّلُّ والْهوانُ، وامْتلأتْ قُلُوبُهُمْ حسْرةً وندامةً «بلى»، ولمْ يكْتفُوا بهذا الْجواب حتَّى أيَّدُوهُ

بِالْقَسَمِ «قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا»، «قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».« إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ » (الدخان: ٥٠)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (الطور: ١٣-١٦)، وَقَالَ تَعَالَى: « قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ » (الذاريات: ١٠-١٤).

ثُمَّ خُتِمَتِ السُّورَةُ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَذَى قَوْمِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ وَاضْطِهَادِهِمْ:

«فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ»:

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مُثَبِّتَهُ عَلَى الْمُضِيِّ لِمَا قَلَّدَهُ مِنْ عِبْءِ الرِّسَالَةِ، وَثِقَلِ أَحْمَالِ النُّبُوَّةِ صلى الله عليه وسلم، وَآمِرَهُ بِالِائْتِسَاءِ فِي الْعَزْمِ عَلَى النُّفُوذِ لِذَلِكَ بِأُولِي الْعَزْمِ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ رُسُلِهِ، الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى عَظِيمِ مَا لَقُوا فِيهِ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَنَالَهُمْ فِيهِ مِنْهُمْ مِنَ الْأَذَى وَالشَّدَائِدِ: «فَاصْبِرْ» يَا نَبِيَّنَا عَلَى مَا أَصَابَكَ فِي اللهِ مِنْ أَذَى مُكَذِّبِيكَ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ بِالْإِنْذَارِ «كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ، الَّذِينَ لَمْ يَنْهَهُمْ عَنِ النُّفُوذِ لِأَمْرِهِ مَا نَالَهُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةٍ. وَقِيلَ: إِنَّ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ كَانُوا الَّذِينَ امْتُحِنُوا فِي ذَاتِ اللهِ فِي الدُّنْيَا بِالْمِحَنِ، فَلَمْ تَزِدْهُمُ الْمِحَنُ إِلَّا جِدًّا فِي أَمْرِ اللهِ (جامع البيان (٢٦/٣٧))، وَهُمْ خَمْسَةٌ، ذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى مُجْتَمِعِينَ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا » (الأحزاب: ٧)، وَقَالَ تَعَالَى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ » (الشورى: ١٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» يَعْنِي الْعَذَابَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: « فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا » (مريم: ٨٤).

«كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ» مِنَ الْعَذَابِ «لَمْ يَلْبَثُوا» فِي الدُّنْيَا- مَعَ طُولِ مَا لَبِثُوا- «إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ»، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » (يونس: ٤٥). قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَنْسَاهُمْ هَوْلُ الْعَذَابِ كَمْ لَبِثُوا فِي الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ » (الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ لَا وَاللهِ يَا رَبِّ». (صحيح مسلم ٢٨٠٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «بَلَاغٌ» خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ هَذَا بَلَاغٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: « هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » (إبراهيم: ٥٢)، أَيْ هَذَا الَّذِي وُعِظْتُمْ بِهِ فِيهِ كِفَايَةٌ فِي الْمَوْعِظَةِ، أَوْ هَذَا تَبْلِيغٌ مِنَ الرُّسُلِ،«فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ» الْخَارِجُونَ عَنِ الِاتِّعَاظِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِمُوجِبِهِ. (التفسير الكبير (٢٨/٣٦)). وَاللهُ أَعْلَمُ.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى تفسير سورة الأحقاف، نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال

تحذير العباد من مغبة ظهور الفساد

إعداد/ المستشار/أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعد: فإن الناظر إلى شيوع الفساد بكافة أشكاله وصوره، وعمومه للبر والبحر، يراه نذير شؤم للبشرية جمعاء، يحتاج منها المبادرة بالتوبة، والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، فما شاع الفساد إلا بما كسبت أيديهم مصداقًا لقوله تعالى: «ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم: ٤١) فقد تضمنت هذه الآية الكريمة، النتيجة، والسبب، والجزاء، والعلاج، ولنا مع هذا البيان التفصيل الآتي:

أولاً: النتيجة: ظهور الفساد بكافة أشكاله وصوره، وعمومه للبر والبحر:

قال محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في "تفسيره التحرير والتنوير": «والفساد: سوء الحال، وهو ضد الصلاح، ودل قوله في البر والبحر على أنه سوء الأحوال في ما ينتفع به الناس من خيرات الأرض برها وبحرها.

ثم التعريف في الفساد: إما أن يكون تعريف العهد لفساد معهود لدى المخاطبين، وإما أن يكون تعريف الجنس الشامل لكل فساد ظهر في الأرض برها وبحرها أنه فساد في أحوال البر والبحر، لا في أعمال الناس بدليل قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.

وفساد البر يكون بفقدان منافعه وحدوث مضاره، مثل حبس الأقوات من الزرع والثمار والكلأ، وفي موتان الحيوان المنتفع به، وفي انتقال الوحوش التي تصاد من جراء قحط الأرض إلى أرضين أخرى، وفي حدوث الجوائح من جراد وحشرات وأمراض.

وفساد البحر كذلك يظهر في تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان (فقد كانا من أعظم موارد بلاد العرب) وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، ونضوب مياه الأنهار وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس. وقيل: أريد بالبر البوادي وبالبحر المدن والقرى، وهو عن مجاهد وعكرمة، وقال: إن العرب تسمي الأمصار بحرًا. قيل: ومنه قول سعد بن عبادة في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول: (ولقد أجمع أهل هذه البحرة على أن يُتَوِّجُوه) يعني بالبحرة مدينة يثرب، وفيه بُعدٌ.

> فساد البر يكون بفقدان منافعه وحدوث مضاره، مثل حبس الأقوات من الزرع والثمار والكلأ، وفي موتان الحيوان.

وكأن الذي دعا إلى سلوك هذا الوجه في إطلاق البحر أنه لم يُعرف أنه حدث اختلال في سير الناس في البحر وقلة فيما يخرج منه. وقد ذكر أهل السير أن قريشًا أصيبوا بقحط وأكلوا الميتة والعظام، ولم يذكروا أنهم تعطلت أسفارهم في البحر ولا انقطعت عنهم حيتان البحر، على أنهم ما كانوا يعرفون بالاقتيات من الحيتان». اهـ.

أمثلة للفساد في البر والبحر:

١- انتشار أمراض السرطان، والفشل الكلوي، وتليف الكبد الناتج عن كثرة استعمال الهرمونات، والمواد المحرمة في حقن وتغذية الفاكهة، والخضر، والدواجن، والأسماك، وغيرها، استعجالاً

لنموها، وزيادة وزنها لتحقيق الكسب السريع.

٢- نفوق آلاف الأطنان من الأسماك والكائنات البحرية؛ نتيجة إلقاء المخلفات الصناعية في موارد المياه.

٣- مصرع الآلاف صعقًا بالكهرباء، وغرقًا ببالوعات المجاري، وسقوطًا من أعلى الكباري؛ نتيجة سرقة أغطية أعمدة الكهرباء، وبالوعات المجاري، وأسوار الكباري الحديدية.

٤- مصرع وإصابة الآلاف في حوادث الطرق نتيجة للغش في قطع غيار السيارات.

٥- ظاهرة تغير المناخ التي يشهدها العالم الآن وما يواكبها من آثار بيئية، من ارتفاع لدرجات الحرارة في الصيف، وبرودة الطقس في الشتاء، وذوبان الجليد في القطبين الشمالي والجنوبي بما يمثله من خطورة غرق المدن الساحلية.

ثانيا: السبب: بما كسبت أيدي الناس من ترك للواجبات، وانتهاك للحرمات:

بينت الآية الكريمة أن سبب الفساد الذى ظهر في البر والبحر، هو ما كسبته أيدي الناس، جزاءً وفاقًا، وقد جاءت آيات كثيرة تقرر ذلك فقال تعالى: « وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ » (الشورى: ٣٠)، قال ابن جرير الطبري رحمه الله في "تفسيره": «قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترحتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم، ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها». اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره": «وقوله: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم (وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) أي: من السيئات، فلا يُجازيكم عليها بل يعفو عنها». اهـ.

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أقبل علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: يا معشرَ المهاجرينَ خمسٌ إذا ابتُليتُمْ بهنَّ وأعوذُ باللهِ أن تدركوهنَّ: لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعلنوا بها إلاَّ فَشا فيهمُ الطَّاعونُ والأوجاعُ الَّتي لم تَكُن مَضت في أسلافِهِمُ الَّذينَ مَضوا، ولم ينقُصوا المِكْيالَ والميزانَ إلاَّ أُخِذوا بالسِّنينَ وشدَّةِ المئونَةِ وجَورِ السُّلطانِ عليهِم، ولم يمنَعوا زَكاةَ أموالِهِم إلاَّ مُنِعوا القَطرَ منَ السَّماءِ ولَولا البَهائمُ لم يُمطَروا، ولم ينقُضوا عَهْدَ اللَّهِ وعَهْدَ رسولِهِ إلاَّ سلَّطَ اللَّهُ عليهم عدوًّا من غيرِهِم فأخَذوا بعضَ ما في أيديهِم، وما لَم تحكُم أئمَّتُهُم بِكِتابِ اللَّهِ ويتخيَّروا ممَّا أنزلَ اللَّهُ إلاَّ جعلَ اللَّهُ بأسَهُم بينَهُم» (رواه ابن ماجه وحسنه الألباني).

> من فساد البحر: نفوق آلاف الأطنان من الأسماك والكائنات البحرية؛ نتيجة إلقاء المخلفات الصناعية في موارد المياه.

فبيَّن الحديث بعض أسباب المعاصي، وما يترتب عليها من نتائج، وهي:

١- ظهور الفاحشة سبب في انتشار الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، فعرفت البشرية الإيدز وسموه طاعون العصر.

٢- التلاعب في المكيال والميزان سبب لأخذهم بالسنين (الجوع والقحط عامًا بعد عام)، وشدة المؤنة (غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار وضيق العيش)، وجور السلطان عليهم أي ظلمه لهم.

٣- منع الزكاة سبب لمنع سقوط الأمطار.

٤- نقض العهود والمواثيق بين الناس، وترك ما أمر الله عز وجل به، وارتكاب ما نهى الله عنه، سبب لتسليط الأعداء من غير المسلمين عليهم، فيأخذون بلاد المسلمين، أو يتحكمون في مقدرات بلاد المسلمين وثرواتهم.

٥- ترك الحكم بغير ما أنزل الله سبب للشقاق، والعداوة، والتنافر بينهم.

شبهة والرد عليها:

بعض الناس يهونون من أمر المعاصي، فإذا ما ألمت بفاعليها كارثة، سارعوا بإلصاقها بالطبيعة، ونفوا نسبتها إلى ما كسبت أيدي الناس، وليس أدل على ذلك مما حدث من تسونامي جنوب شرق آسيا في عام ٢٠٠٤م، والذي أرجعه علماء الأمة إلى عقاب الله لكثرة المعاصي بشواطئ تلك البلاد، فما كان من هؤلاء إلا السخرية منهم، وإرجاع الأمر إلى الظواهر الطبيعية، وقالوا: لماذا لم يُصَب الغرب بمثل هذه الكوارث، وقد كفر بالله ربا ونحّى شرعه، وبالرغم من ذلك فإنهم يرفلون في النعيم؟! وخطر شبهة هؤلاء أنها عائق بين الناس وبين التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

الرد عليها:

أولاً: أن الفساد في الأرض عم جميع دول العالم، فلا تكاد دولة تسلم منه، وهذا أمر مشاهَد، من تلوث، وكوارث، وتفشي أمراض، وغيرها، وما حدث في تسونامي اليابان خير شاهد على عموم العذاب للجميع.

ثانيًا: أنهم وإن نعموا في الدنيا، أخذوا بعقوبة كفرهم في الآخرة. قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ» (الشورى: ٣٠). قال علماؤنا: وهذا في حق المؤمنين، فأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة). اهـ.

وهذا صحيح لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِه الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ في الدُّنْيَا، وَإذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِه الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِه حَتَّى يُوَافِيَ بِه يَوْمَ الْقِيَامَة» (رواه الترمذي، وحسنه الألباني).

أسباب ظهور الفساد:

بتتبع كلمة الفساد في القرآن الكريم تبين أن بعضها يحمل أسبابه، وهي كالتالي:

١- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: «وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ» (البقرة: ٢٥١)، فالحياة تفسد بفساد أهلها، وفسادُهم بالظلم والعصيان ومخالفتهم أمر ربهم، ودفع الله الناس بعضهم ببعض يوحي بأن أناسًا ألفوا الفساد وأشربوه، وفي المقابل طائفة نجت بنفسها من الفساد، ولم يكتفوا بذلك بل قاوموه وحاربوه، وهؤلاء هم أهل الإصلاح وورثة الأنبياء.

٢- اتباع الهوى: قال تعالى: «وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ» (المؤمنون: ٧١)؛ فالإنسان ما لم يكبح جماح شهواته وغرائزه، كالأنانية والجشع والطمع وحب التسلط وغيرها، ويضع حداً لنزواته وميوله النفسية الطائشة فإن النفس تجمح بالإنسان وتقوده إلى الفساد الذي قد يطغى على السموات والأرض.

بعض الناس يهونون من أمر المعاصي، فإذا ما ألمت بفاعليها كارثة، سارعوا بإلصاقها بالطبيعة، ونفوا نسبتها إلى ما كسبت أيدي الناس.

٣- فساد بعض الملوك: قال تعالى: «إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ» (النمل: ٣٤).

٤- الابتعاد عن الشريعة، وعدم تحكيمها: قال تعالى: «إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» (الأنفال: ٧٣). وقال تعالى: «فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ» (آل عمران: ٦٣)، أي: إن أعرضوا عن دين الله وأحكامه فلا يتوهمنّ أن الله غافلٌ عنهم، بل إن الله عليم بفساد المفسدين الذين يعدلون عن الحق إلى الباطل أي الذين يبتعدون عن الحق ويلجأون إلى الباطل.

٥- عدم الإيمان: قال تعالى: «وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ» (يونس: ٤٠)؛ فإن عدم الدين الحنيف والتشكيك فيه يعتبر مظهراً من مظاهر الفساد الديني الذي تواجهه الأمة، وقد تعددت أشكال الفساد واتسع مداها، وأصبحت تشمل كل جوانب الحياة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأسرية والدولية.

٦- ظلم الناس حقوقهم: قال تعالى: « وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » (الشعراء: ١٨٣). وهو من أسوأ أشكال فساد النفس التي يقدم صاحبها على التجرؤ على الله ورسالته وعباده فيظلمهم فيما يملكون.

٧- الجهل: قال شهاب الدين القرافي في رحمه الله في "الفروق": «وأصل كل فساد في الدنيا والآخرة إنما هو الجهل، فاجتهد في إزالته عنك ما استطعت، كما أن أصل كل خير في الدنيا والآخرة إنما هو العلم، فاجتهد في تحصيله ما استطعت، والله تعالى هو المعين..» اهـ.

ثالثًا: الجزاء: ليذيقهم بعض الذي عملوا:

ومن عدل الله تعالى أن يعجّل للناس عقوبتهم في الدنيا بما كسبت أيديهم، فقال تعالى: « فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ » (الزمر: ٥١)، ومن رحمته بهم ألا يؤاخذهم بكل ذنوبهم، وبكل ما كسبت أيديهم، ولو فعل ذلك ما ترك على ظهر الأرض من دابة، وإنما يؤخرهم إلى يوم يلقونه، قال تعالى: « وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا » (فاطر: ٤٥)، ويؤاخذهم- فقط- ببعض ذنوبهم، قال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ» (المائدة: ٤٥)، ويعفو عن كثير مما كسبت أيديهم، قال تعالى: « وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ » (الشورى: ٣٠)، وهذا من كمال رحمة الله بعباده، يذيقهم بعض ما عملوا للعودة إليه، والرجوع إلى شرعه. وهذا مثل أن يعاقب الأب ابنه على بعض أخطائه، مع كمال حبه له؛ لزجره عن إتيانها مستقبلا، وقد يتغاضى عن كثير من الأخطاء.

رابعًا: العلاج: لعلهم يرجعون إلى ربهم بالتوبة والإنابة:

بيّن الله سبحانه وتعالى العلاج الماحي للفساد الذي عمَّ البر والبحر، والذي يكمن في التوبة والرجوع إليه سبحانه وتعالى، واستشعار العباد بذنوبهم، وأنهم ما أخذوا إلا بها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع رسائله": «أن يشهد ذنوبه، وأن الله إنما سلط الناس عليه بسبب ذنبه، كما قال تعالى: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ»، فإذا شهد العبد أن جميع ما يناله من المكروه فسببه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي سلَّطهم عليه بسببها عن ذنبهم ولومهم، والوقيعة فيه، وإذا رأيت العبد يقع في الناس إذا آذوه ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار، فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية، وإذا تاب واستغفر، وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة، قال علي رضي الله عنه كلمة من جواهر الكلام: "لا يرجونَ عبدٌ إلا ربه، ولا يخافن عبد إلا ذنبه"، وروي عنه وعن غيره: "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفع إلا بتوبة". اهـ.

> من رحمة الله بالناس: ألا يؤاخذهم بكل ذنوبهم، وبكل ما كسبت أيديهم، ولو فعل ذلك ما ترك على ظهر الأرض من دابة.

فمن علم من العباد هذه الحقيقة سارع إليها، ولم يستبدلها بغيرها، أما من طمس على بصيرته فتراه متخبطا يبحث عن الحل لإزالة ما ألمَّ به في غير ما شرعه الله، فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، والحل يكمن بين يديه «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد: ١١)، فلن يغير الله ما حاق بنا من مظاهر الفساد، حتى نغير ما بأنفسنا من بعد عن شرعه، ولن يرفع الله ضنك المعيشة إلا بالرجوع إلى قرآنه وسنته؛ قال تعالى: « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ » (طه: ١٢٤)، فإذا ما أصرَّ العباد على مبارزة الله بالمعاصي زاد الله في عقوبته لعلهم يرجعون.

نسأل الله السلامة والعافية، والله الموفق.

الفروق بين الأرباح والفوائد في التحليل الاقتصادي الإسلامي



إعداد/ د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أعدَّ الأستاذ الدكتور عبد الحميد الغزالي (أستاذ الاقتصاد الإسلامي في مصر والعالم العربي والإسلامي) بحثاً عن (الأرباح والفوائد المصرفية بين التحليل الاقتصادي والحكم الشرعي"، من مطبوعات المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جدة - المملكة العربية السعودية - ١٩٩٤م.)، خلص فيه إلى الآتي بنص كلامه وآرائه بدون تصرف.

"وإني في نهاية مناقشتي لهذه القضية الهامة، والتي لم أتعرض فيها بإسهاب عن قصد، أو حتى أصلاً لحكم الفوائد المصرفية شرعاً، لأن هذا الحكم قد أشبع حسماً وقطعاً، بعد أن قتل بحثاً من فقهائنا القدامى، وفقهائنا المعاصرين، فرادى وجماعات، بفتاوى متواترة بلغت أكثر من ثلاثين فتوى، أسجل من باب التوكيد وليس من باب التكرار أن هذه الفوائد المدينة منها والدائنة هي من ربا الزيادة المحرم بنص الكتاب والسنة والإجماع، كما أشدد على فساد آلية سعر الفائدة في إدارة النشاط الاقتصادي المعاصر، وعلى الجدوى العملية الفاعلة والرشيدة لمعدل الربح بالمفهوم الإسلامي كآلية لإدارة مناسبة لهذا النشاط.

وعليه فالقضية المثارة الآن حول الفوائد المصرفية ليست بالقطع قضية القضايا، ولكنها في واقع الأمر، قضية مفتعلة لتكريس وضع قائم «محرم» ولتبرير الإصرار على اقتراف كبيرة «الربا»، فطبيعة عمل البنك الحديث هي الاتجار في «القروض» والفوائد على هذه القروض، كما أوضحنا هي زيادات مشروطة على المال، وهذا هو عين الربا المحرم، وسعر الفائدة يعد بصفة عامة آلية فاسدة لإدارة النشاط الاقتصادي المعاصر.

وهنا يقدم النظام الإسلامي البديل السهل والفاعل الميسور، والذي يتمثل في إحلال المشاركة في الربح والخسارة محل المداينة بفائدة، ومن ثم تحويل البنوك التقليدية إلى مصارف إسلامية، واعتماد «الربح» كآلية فاعلة ورشيدة لإدارة النشاط الاقتصادي المعاصر".

الفروق بين الربا والربح في البيع:

وفي بحث أعده الأستاذ الدكتور/فتحي السيد لاشين (عضو هيئة الرقابة الشرعية في بنك دبي الإسلامي سابقاً) عن حقيقة الربا وحقيقة الربح الحلال(دراسة عن حقائق

وشبهات حول الربا والربح والفوائد المصرفية "، من مطبوعات بنك دبي الإسلامي، مجلة الاقتصاد الإسلامي) خلص فيه إلى الآتي:

"لقد انعقد الإجماع على أن الربا من أخبث المكاسب، وتحريمه من ضروريات الدين، ويدخل مستحله في سلك الكافرين، وأكله والعمل به مع التسليم بأنه حرام من أكبر الكبائر، قال ابن عباس: " من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع وإلا ضرب عنقه "، وقال ابن خويز منداد: " لو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً كانوا مرتدين، والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالاً جاز للإمام محاربتهم".

وأحل الله سبحانه وتعالى الربح في البيع والتجارة وحرم الربا في الدين، مع التماثل في الشكل والصورة بين الأمرين، فكل منهما زيادة على رأس المال ينالها أحد المتعاقدين، وهو ما دعا المشركين إلى التسوية بينهما بقولهم أن الزيادة في الثمن أول البيع كالزيادة على الثمن الثابت في الذمة في نهاية الأجل، فرد الله عليهم بقوله: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟» (البقرة:٢٧٥)، وتشير كلمة البيع في هذه الآية على النشاط الاقتصادي كله لأن البيع يسبقه الإنتاج ويلي الإنتاج التوزيع والاستهلاك، كما أن التجارة ما هي إلا بيع وشراء بقصد الربح، ويؤكد ذلك قول الله تبارك وتعالى:) «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» (النساء:٢٩)، والربا أظهر صور الباطل، وربح التجارة بدلالة هذه الآية ليس من الباطل فلا تماثل بين الربا والربح، وإذا كان مصدر الربح الحلال هو التجارة فالمصدر الذي ينشأ عنه الربا مختلف كذلك وهو الدين.

ويجري التشريع الإسلامي على التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين، وما حرم الله شيئاً إلا لأنه ضار في نفسه أو لغلبة ضرره، ولا أحل الله شيئاً إلا وهو نافع في نفسه أو لغلبة نفعه، وإذن فلا تكون الزيادة في البيع والتجارة نظير الزيادة في الربا ولا مثلها في الواقع ونفس الأمر، ولا في النفع والضرر ولو كانا متساويين لما اختلف الحكم عند أحكم الحاكمين.

ويختلف الفرق بين الزيادة الحلال في البيع، والزيادة المحرمة في الربا فيما يأتي:

١- الزيادة في الربا هي أجرة على مجرد التأجيل، أما الزيادة في البيع فهي مقابل إيجاد السلعة وتهيئتها للمشتري بجهده وبشرائها من غيره وإنفاقه عليها من ماله فالزيادة هنا مقابل جهد نافع ونفقات أنفقت وخدمة يقوم بها البائع.

٢- الزيادة في التجارة هي زيادة في معاوضة صحيحة بين شيئين مختلفي الأغراض والمنافع، فثمة اختلاف في طبيعة بدلي المعاوضة كنقود بطعام يجعل المعاوضة نافعة ومثمرة، وتكون الزيادة في مقابل منفعة زائدة مقصودة ومطلوبة في البدل المقابل، فضلاً عن أنه يستحيل غالباً أن نقيس بشكل حسابي دقيق مقدار التكافؤ بين البديلين في عملية البيع، أما الدين فلا معاوضة فيه على الحقيقة لأن بديليه من جنس واحد لأنه واجب الرد بمثله من جنسه بلا زيادة ولا نقصان، فكانت الزيادة فيه بغير عوض يقابلها.

٣- أن الشيء المبيع يؤخذ ربحه مرة واحدة، ومع ذلك فالغالب أن يستمر نفعه مدداً تطول أو تقصر على العكس من الربا فالدين يستهلك مرة واحدة في حين يستمر الربا سلسلة لا تنقطع.

٤- يتضمن البيع مخاطر من وجهين: أولهما مخاطرة انخفاض السعر أو كساد السلعة وبوارها حينما يريد بيعها، وثانيهما مخاطرة الهلاك والتلف فترة بقائها في حوزته، أما رأس مال الربا لا مخاطرة فيه بل هو دين مضمون في الذمة واجب الرد بمثله فلا يتعرض لأي مخاطر.

وهذا الضابط الأخير في الفرق بين الزيادتين الحلال والحرام، لا يختلف بحال، ويمثل جوهر العملية الاقتصادية المميزة للنظام الإسلامي عن النظام الربوي في مجال استثمار النقود، فكلما كان رأس المال محتملاً مخاطر

الهلاك والتلف والخسارة كان ما يطرأ عليه من نماء وزيادة ربحاً مشروعاً، ودخلت العملية الاقتصادية في باب البيع والتجارة، ورأس المال النقدي لا يتعرض لهذه المخاطر إلا عن طريق المشاركة إما بعقد شركة مالية أو بعقد مضاربة وهو ما يطلق عليه (عقد القراض).

وكلما كان رأس المال ديناً مضموناً في الذمة آمناً من الخسارة بعيداً عن مخاطر الهلاك والتلف كانت الزيادة فيه بغير عوض، وكان ربًا محرماً.

ويعبر ابن تيمية عن هذا المعنى تعبيرًا صحيحًا وصادقًا فيقول: "أن الربا هو طلب الربح في مبادلة المال في غير صناعة ولا تجارة، وأنه حرم لما فيه من أخذ فضل على ماله مع بقاء مالك في المعنى".

وإذن عدم التماثل بين الزيادة في البيع، والزيادة في الربا يترتب عليه التمايز الواضح بين نظام اقتصادي يقوم على الربا ويتمثل جوهره في تقديم القروض المضمونة واجبة الرد مقابل زيادة ربوية، وبين النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يقوم في جوهره على عدم استحقاق رأس المال للربح إلا إذا ساهم في تحمل المخاطر من تلف وهلاك وخسران ولا يتحقق ذلك إلا على أساس المشاركة المالية الكاملة بين رأس المال والعمل في عملية الإنتاج.

تحريم الربا تقتضيه الفطرة الإنسانية والعدالة الاجتماعية:

إن النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على تحمل رأس المال للمخاطر كسبب مشروع لنموه وزيادته هو الذي يتلاءم مع الفطرة السوية، لأن كل حق يقابله واجب، ويعد تطبيقًا عمليًا للقواعد الشرعية العامة التي تقرر: أن الغنم بالغرم عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخراج بالضمان".

وتحمل رأس المال للمخاطر العادية عن طريق المشاركة في الربح والخسارة كأساس للنماء والزيادة، هو الوسط العدل بين نقيضين حرمهما الإسلام، أولهما الاستكثار من الربح بالإقدام على مخاطر تفوق المخاطر العادية للتجارة عن طريق عقود الضرر والمقامرة، وثانيهما الحصول على ربح مضمون بغير مخاطرة وهو الربا فكلا الأمرين تحريف للطبيعة، وانحراف عن طريق العدل، ويصدران عن دوافع غير إنسانية من الأثرة والأنانية والجشع في جمع المال بغير الطريق المستقيم «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (المائدة: ٥٠).

خلاصة القول: في الفرق بين الفوائد الربوية وبين الربح الحلال هو أن الفوائد عبارة عن مبادلة مال بمال بزيادة وبدون عوض، وهي الزيادة المتولدة من دين وثابتة في الذمة ومضمون الرد بمثله، أما الربح فإنه متولد من بيع أي مبادلة شيئين مختلفي المنافع، الأشياء (السلع) والأثمان (النقد) أي هناك سلعة وسيطة في عملية البيع.

لقد استنبط فقهاء المسلمين مجموعة من الضوابط الشرعية للتعامل مع هذه العوامل (عوامل العملية الإنتاجية)، وذلك لتحقيق أقصى عائد ومنفعة بما يعود على أصحاب هذه العوامل بالعائد الحلال الطيب المرضي، وبذلك تتحقق التنمية والرخاء والحياة الكريمة.

وتتمثل عوائد عوامل الإنتاج في الثمن العدل للموارد الطبيعية والأجر العدل للعنصر البشري والربح الحلال لصاحب (مالك) المال، كما أوجب الإسلام على المسلم الذي يمتلك أموالاً من هذه العوامل أن يدفع زكاة المال، وبذلك يشارك من يستحقون الزكاة في عوائد عوامل الإنتاج، وهذا يساهم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

ولقد نهى الإسلام عن تبديد الموارد الطبيعية أو الإسراف أو التبذير في استخدامها، كما نهى عن بخس أجور العمال، كما حرم الإسلام الفائدة الربوية على المال، كما حرم منع الزكاة لأن ذلك كله من معوقات التنمية الاقتصادية وإحداث التخلف.

ويرى علماء الاقتصاد الإسلامي أن التنمية الشاملة تتحقق إذا تفاعلت عوامل الإنتاج مع بعضها في تناسق، ووفقاً للسنن الكونية والمقدرة بحكمة الله ووفقاً للضوابط الشرعية، وربط العائد بالجهد والسعي.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

أضحية العيد ودعوة التوحيد

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله الذي جعل شعائر الدين آية على وحدانيته، وطريقًا لتوحيده بربوبيته وألوهيته، ومن ذلك مقدم الشهر المبارك ذي الحجة بما فيه من أيام العيد؛ إذ جعل فيها الفرحة والتوسعة ونسك الأضحية عبادة لله دليلاً على التوحيد وإكرامًا للعبيد.

وسنة الأضحية هي سنة إبراهيم إمام الموحدين، عليه وعلى نبينا أفضل التسليم، والقيام بها بنية العبودية هو عبادة الوقت وشرف للعبد وتوحيد للرب.

الحديث:

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي؛ فليمسك عن شعره وأظفاره"، وفي رواية لمسلم: "فلا يمس من شعره وبشره شيئًا".

التخريج:

الحديث رواه الجماعة إلا البخاري؛ إذ أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو مريد التضحية أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئاً رقم (١٩٧٧) ١٥٦٥/٣، والترمذي وصححه في كتاب الأضاحي، باب ترك أخذ الشعر لمن أراد أن يضحي رقم (١٥٢٣) ١٠٢/٤، وكذلك أخرجه النسائي وأبوداوود وابن ماجه.

ثانيًا: المعنى العام للحديث:

(إذا دخل شهر ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فلا يأخذ من شعرة ولا من أظفاره شيئا). وفي رواية: (ولا من بشرته شيئًا). فالذي يريد الضحية سواء كان رجلاً أو امرأة وهو الذي يبذل المال في شراء الضحية، لا يأخذ من شعره، لا من شعر الرأس ولا من غيره ولا من أظفاره شيئاً.

ثالثًا: ما يستفاد من الحديث:

١- فائدة حديثية:

هذا الحديث رواه الجماعة إلا البخاري فما السبب؟ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "واختلف فيه على سعيد بن المسيب فرواه عبد الرحمن بن حميد وابن مسلم هكذا موصولا، ورواه قتادة عن سعيد بن المسيب عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه مسدد في مسنده من طريقه ورواه عثمان بن محمد الأخنسي عن سعيد موقوفا عليه، وكأن البخاري لم يخرجه لهذه العلة لكنها ليست بتلك القادحة والله أعلم. (الأمالي المطلقة للحافظ ابن حجر ص١٢- ١٤). (ينظر: قلت وأكثر الرواة رووه بأسانيد صحيحة مرفوعًا.

قلت: ويكفي من المتصل ما رواه مسلم في صحيحه من طريق سفيان عن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، سمع سعيد بن المسيب يحدث عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الحديث".

٢- حكمها:

الأضحية مشروعة باتفاق أهل العلم، واختلفوا في كونها واجبة أو سنة على قولين، والصواب قول الجمهور وعامة

أهل العلم أنها سنة مؤكدة في حق الموسر، ولا تجب عليه، وبهذا قال أكثر العلماء وذلك خلافاً لمن قال بالوجوب، بل وخلافاً لشرذمة هادمة ظهرت في هذه الأيام الغابرة المتأخرة تنادي بالتخلي عن هذا النسك وأمثاله بحجة الإنسانية، وأن ذلك من الوحشية. قال ابن قدامة رحمه الله: "وأجمع المسلمون على مشروعية الأضحية". المغني (١٣/٣٦٠).

وروى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عمر تعليقاً قال: وقال ابن عمر: "هي سنة ومعروف" الفتح (١٢/٩٨)، وقال ابن حزم رحمه الله في المحلى(٧/٣٥٨): "لا يصح عن أحد من الصحابة أنها واجبة وصح أنها غير واجبة عن الجمهور، ولا خلاف في كونها من شعائر الدين".

٣- أن المضحي لا يأخذ من شعره وبشره وأظافره شيئاً من بداية ذي الحجة وحتى ذبح أضحيته، وأن النهي في الحديث يحمل على الكراهة وليس على التحريم؛ قال النووي في شرح المهذب: "مذهبنا أن إزالة الشعر والظفر في العشر لمن أراد التضحية مكروه كراهة تنزيه حتى يضحي".

وقال نحو ذلك في شرحه لمسلم بعدما نقل اختلاف أهل العلم، ثم ذكر استدلال الشافعي على مذهبه بحديث أم المؤمنين عائشة قالت: "كنت أفتل قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقلده ويبعث به ولا يحرم عليه شيء أحله الله حتى ينحر هديه"، متفق عليه.

وقال: "البعث بالهدي أكثر من إرادة التضحية، فدل على أنه لا يحرم ذلك، وحمل أحاديث النهي على كراهة التنزيه"، انتهى كلام النووي.

فإن فعل شيئاً من ذلك، استغفر الله، ولا فدية عليه.

وإذا نوى المسلم الأضحية أثناء أيام العشر أمسك عن أخذ شعره وظفره من حين نيته ولا شيء عليه قبل النية، والله أعلم.

٤- أن نسك الأضحية أفضل من الصدقة في العيد على الفقراء؛ إذ هو من عبادات الوقت، وأن الله تعالى خص هذه الأيام بهذه العبادة. فعن سعيد بن المسيب قال: "لأن أضحي بشاة أحب إليّ من أن أتصدق بمئة درهم". عبد الرزاق المصنف(٤/٣٨٨).

وقال الإمام النووي رحمه الله: "مذهبنا أن الأضحية أفضل من صدقة التطوع، للأحاديث الصحيحة المشهورة في فضل الأضحية، ولأنها مختلف في وجوبها، بخلاف صدقة التطوع، ولأن الأضحية شعار ظاهر". المجموع (٨/٤٢٥).

وأفاده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٦/٣٠٤).

٥- أن أكل المضحي من الأضحية وإطعام الأهل منها مشروع بل هو في ذاته عبادة؛ إذ أفتى بعض أهل العلم أن الأكل منها أفضل من الصدقة، قال شيخ الإسلام: "والأكل من الأضحية أفضل من الصدقة". مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٦/٣٠٤)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "...كُلُوا وأَطعِمُوا وادَّخِرُوا". البخاري.

٦- ولا يجوز بيعها ولا بيع جلدها، ولا يعطى الجزار من لحمها شيئاً كأجر، عن علي رضي الله عنه قال: "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقومَ على بُدنه، وأن أتصدقَ بلحمها وجُلودها وأجلتها، وأن لا أُعطيَ الجزارَ منها، قال: نحنُ نُعطيه من عندنا". متفق عليه، البخاري (١٧١٧)، ومسلم (١٣١٧) واللفظ له.

٧- أن الأضحية تكون عن الواحد وأهل بيته مما يعول وليس على أهل بيته ترك الشعر والظفر؛ إذ قد تعلق الحكم بالمضحي نفسه، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: "كان الرجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى". رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وعلى هذا العمل عند أهل العلم.

قال الشوكاني: ".. أنها تجزئ عن أهل البيت، وإن كانوا مئة نفس". نيل الأوطار، والسيل الجرار"، ومن يضحى عنه فلا شيء عليه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحي عن أهل بيته ولم يأمرهم بشئ من ذلك.

٨- أن الله تعبد عباده بما سن لهم نبيه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك: أنه جعل الأضحية في أربعة أنواع، فمن تعريف الأضحية إذ هى اسم لما يذبح من الابل، والبقر، والغنم، والماعز، يوم النحر وأيام

التشريق بشرائط مخصوصة تقرباً إلى الله تعالى فلا يضحى بغيرها خلافًا لمن قال يضحى ببقرة الوحش أو بظبي أو بديك أو لحم مذبوح أو نحو ذلك.

قال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) (الحج: ٣٤)، قال النووي رحمه الله: "نقل جماعة إجماع العلماء عن أنَّ التضحية لا تصحُّ إلاَّ بالإبل أو البقر أو الغنم؛ فلا يجزىء شيء غير ذلك" -وأفضله ما كان فيه نفع الفقراء-.

وللأضحية شروط أهمها:

١- أن تكون من بهيمة الأنعام كما تقدم.

٢- أن تبلغ السن وتكون من الغنم، والماعز ما تم سنة فإن لم يجد فجذعة من الغنم، وهو ما تم له ستة أشهر، ومن البقر ما تم له سنتان، ومن الإبل ما تم له خمس سنين.

٣- خالية من العيوب إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم (أربع لا تجزئ) اتفق الفقهاء على أن أربعة عيوب لا تجزئ في الأضحية وهي: العوراء، والمريضة، والعرجاء، والكبيرة، كما دلت عليه السنة المطهرة؛ لحديث عبيد بن فيروز قال: قلت للبراء بن عازب حدثني بما كره أو نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأضاحي. فقال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أربع لا تجوز في الأضاحي: العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ضلعها، والعجفاء التي لا تنقي"، رواه الترمذي، وصححه الألباني رحمه الله.

فان كان العور يسيرًا، وكذلك العرج اليسير، أو كسر شيء يسير من القرن، أو قطع يسير من الأذن أو وسم في الأذن، فإنه لا يضر ولا يعد نقصًا أو عيبًا.

واختلف العلماء في الأضحية بالخنثى، والصواب الجواز؛ لأنه ليس من العيوب الواردة، ولا تجوز الأضحية بما كان أعم من هذه العيوب، كالعمياء ومقطوعة اليد وغيرها.

- ومن ذلك أن من ذبح قبل صلاة العيد أو وقتها فليست أضحية، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل ذلك فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء". متفق عليه.

- وتجوز المشاركة في الأضحية إذا كانت من الإبل أو البقر فقد دلت عليه السنة، وتجزئ عن سبعة، لقول جابر رضي الله عنهما: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرك في الإبل، والبقر سبعة في واحد منهما" رواه مسلم.

- ويسن لمن يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده رجلاً كان أو امرأة، ويقول: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن فلان.. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح كبشاً وقال: بسم الله والله أكبر.. الحديث "، وإن كان لا يحسن الذبح أحضر من يحسن ذلك.

وعن المسيب بن رافع: "أن أبا موسى كان يأمر بناته أن يذبحن نسائكهن بأيديهن". البخاري معلقًا، انظر فتح الباري (١٩/١٠).

- ويستحب أن تذبح الأضاحي في المصلى، وعلى من يقوم بالذبح أن يحدِ شفرته، ويسمي الله ويكبر. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح وينحر بالمصلى". رواه البخاري، إظهارًا لهذه الشعيرة العظيمة، وهي سنة مهجورة.

وعن نافع قال: "كان عبدُ الله ينحرُ في المنحر". قال عبيد الله: يعني منحر النبي صلى الله عليه وسلم" صحيح البخاري.

- ولا يخص الميت بالأضحية إلا أن يوصي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يضح عن أحد من أمواته بخصوصه، ولم يرد عن أصحابه في عهده أن أحدًا منهم ضحى عن أحد من أمواته. إلا إذا كان يضحي عن الميت تنفيذًا لوصيته، قال تعالى: (فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ١٨١).

- ويجوز شراء الأضحية دينًا لمن استطاع التسديد، وإذا تزاحم الدَيْن مع الأضحية قدم سداد الدين لأنه أبرأ للذمة. فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وبه أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٠٥/٢٦).

وفي هذا القدر الكفاية، والحمد لله رب العالمين.

الحج في الفكر الإسلامي

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك



بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فإن الحج هو الذهاب لبيت الله الحرام بقصد فعل أعمال مخصوصة في فترة زمنية مخصوصة.

من طواف وسعي ومبيت بمنى، والوقوف بعرفات، ثم النزول بمزدلفة، ثم العودة مرة أخرى ورمي الجمرات، ثم الطواف والسعي والحلق أو التقصير.

وهذا كله يبدأ بالمرور بالميقات محرمًا.

ولما كانت دعوة إبراهيم عليه السلام: «رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ» (إبراهيم:٣٧).

جعل الله تعالى حبَّ البيت في قلوب الناس فطريًا، فكل قلوب الناس تميل لزيارة البيت والذهاب للمناسك.

وللعلم يتمثل الإسلام في مناسك الحج وتظهر الصلة بينه وبين الحج بلا ريب؛ فالإسلام مناداة بالاستسلام التام لله تعالى فيما أمر، وفيما نهى، وهذا لأن الدين صلة بين العبد والرب ينتج عن هذه الصلة حقوق وواجبات.

وهذا يتضح في حديث معاذ رضي الله عنه لما كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم، وسأله مرتين: «أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد؟» وفي المرة الثانية: «أتدري ما حق العباد على الله؟» ولما كانت الإجابة كالتالي:

في السؤال الأول: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

وفي السؤال الثاني: أن يدخلهم الجنة.

فهذه العلاقة والصلة بين المسلم وبين ربه تسمى بالإسلام، وتظهر هذه الصلة ظهورًا جليًا في الحج.

فإذا حججت فإنك لا بد أن تمر من الميقات وتلبي: لبيك اللهم لبيك عمرة متمتعًا بها إلى الحج.

ثم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وما هذا إلا تأكيد للاستسلام التام لله تعالى.

ثم تدخل من باب العمرة، وتستلم الركن اليماني وتقبِّله، ثم تجعل البيت على يسارك وتستلم الحجر الأسود وتقبِّله، وهنا نجد قول عمر رضي الله عنه: «إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك» رواه البخاري.

استسلام تام لله رب العالمين:

ثم تبدأ طوافك بالبيت سبعة أشواط، وما البيت إلا غرفة فارغة، ومع ذلك لا يحق لك فعل هذا الطواف إلا هنا. استسلام تام لله رب العالمين.

ثم تذهب خلف مقام إبراهيم وتصلي ركعتي الطواف، مصداقًا لقول الله تعالى: «وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى» (البقرة:١٢٥)، ثم تبدأ بما بدأ الله به في قوله: «إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» (البقرة:١٥٨).

فتذهب للصفا وتستقبل البيت وتدعو، ثم تنزل إلى المروة وتفعل كما فعلت على الصفا، وهذا شوط في السعي تكرر هذا الفعل بين الصفا والمروة ستة مرات مع هذا الشوط ليصبح سبعة أشواط بين الصفا والمروة، يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة، هرولةً بين الاثنين.

ولا يحق لك فعل هذا إلا هنا.

استسلام تام لله تعالى.

ثم تحلق أو تقصر وتحل لك امرأتك وفي ضحى يوم التروية تذهب إلى منى وتخرج منها بعد صلاة الفجر إلى عرفة، وتمكث حتى المغرب ثم يفيض الحجيج إلى مزدلفة لصلاتي المغرب والعشاء وجمع الحصيات، ثم الراحة إلى الفجر، ويتوجه لرمي الجمرة الكبرى، ومع أنه قبَّل الحجر الأسود في أول المناسك وهنا يرجم الحجر، إلى أن يستكمل باقي مناسكه، ولا يفعل هذه الأمور إلا هنا.

استسلام لله تعالى.

فلو نظر الناظر من دخول مكة لأداء المناسك يجد أن الحاج أو المعتمر لا يفعل إلا تسليمًا لله تعالى في كل حركة وسكون امتثالاً لله تعالى.

فيأتي السؤال لكل من يدَّعي أنه صاحب فكر ثم يطعن في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم: من أين تعلمت مناسك الحج؟!

نسأل الله أن يفقهنا في دنينا، ويرزقنا حج بيته الحرام.

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٦٢)

إعداد/ علي حشيش

٥٧٣- «يا أيها الناس ضحوا، واحتسبوا بدمائها، فإن الدم وإن وقع في الأرض، فإنه يقع في حرز الله عز وجل».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٧٦/٨) (ح٨٣١٩) قال: حدثنا موسى بن زكريا، حدثنا عمرو بن الحصين، حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة، عن عبد الملك بن أبي غنية عن الحكم، عن حنش الكناني عن علي مرفوعًا، ثم قال: «لم يرو هذا الحديث عن ابن أبي غنية إلا ابن علاثة تفرد به عمرو بن الحصين». اهـ.

قلتُ: فالحديث غريب وعلته عمرو بن الحصين، قال الذهبي في «الميزان» (٦٣٥١/٢٥٢/٣): «عمرو بن الحصين العقيلي عن محمد بن عبد الله بن علاثة، قال أبو حاتم: ذاهب الحديث. وقال أبو زرعة: واهي. وقال الدارقطني: متروك». اهـ.

٥٧٤- «إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسَح الشيطانُ وجهه بيده، وقال: بأبي وجه من لا يفلح».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٧/٣) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٥٧٥- «مَا عمل ابن آدم في هذا اليوم أفضل من دم يُهراق، إلا أن تكون رحمًا تُوصَل».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٢/١١) (ح١٠٩٤٨) قال: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الحسن بن يحيى الخشني، عن إسماعيل بن عياش عن ليث عن طاوس عن ابن عباس مرفوعًا.

قلت: ذكرنا السند حتى تستبين العلة وهذا مهم جدًا، فقد ينقلب اسم الراوي على بعض نساخ «معجم الطبراني الكبير» فلم يعرف العلة فلا بد من الرجوع إلى الأصل، فهذا الحديث أورده الحافظ المنذري في «الترغيب» (٩٩/٢) (ح١٦٦١) (ط. دار الكتب العلمية بيروت)، وقال: «رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس وفي إسناده: يحيى بن الحسن الخشني لا يحضرني حاله». اهـ. قلتُ: انظر كيف خفي حاله على الحافظ المنذري؛ لأن اسم الراوي انقلب فهو ليس (يحيى بن الحسن)، ولكنه كما في الأصل: (الحسن بن يحيى الخشني)، وبهذا يستبين حاله حيث أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١٩٥٨/٥٢٤/١)، فقال: الحسن بن يحيى الخشني الدمشقي البلاطي قال ابن معين: «ليس بشيء»، وقال أبو حاتم: «صدق سيء الحفظ»، وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال الدارقطني: «متروك»، وبهذا يتبين الضعف الشديد لهذا الحديث لرواية الحسن بن يحيى الخشني فهو ليس بثقة متروك سيئ الحفظ ليس بشيء.

٥٧٦- «إن الله تعالى أخذ الميثاقَ على كل مؤمنٍ أن يبغض كل منافقٍ، وعلى كلِّ منافقٍ أن

يبغض كل مؤمن».
الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣٤١/٤)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا الحديث لم أجد له أصلاً». اهـ.

٥٧٧- «مَنْ ضحَّى طيبة بها نفسَهُ، محتسبًا لأضحيته كانت له حجابًا من النَّار».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٤/٣) (ح٢٧٣٦) قال: حدثنا أحمد بن محمد النخعي القاضي الكوفي، حدثنا عمَّار بن أبي مالك الجنبي، حدثنا أبو داود النخعي، عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه، عن جده مرفوعًا، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧/٤): «رواه الطبراني في «الكبير» عن الحسن بن علي وفيه سليمان بن عمرو النخعي وهو كذاب». اهـ.
قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٤٩٥/٢١٦/٢): «سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذاب، قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث، وقال أحمد بن أبي مريم عن يحيى: معروف بوضع الحديث، وقال عباس عن يحيى: كان أكذب الناس، وقال البخاري: متروك رماه قتيبة وإسحاق بالكذب». اهـ.
فالحديث موضوع، لذلك قال يزيد بن هارون: لا يحل لأحد أن يروي عنه. اهـ.

٥٧٨- «ما أنفقت الوَرِقُ في شيء أحبَّ إلى الله عزَّ وجل من نحرٍ يُنْحَرُ في يوم عيد».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/١١) (ح١٠٨٩٤) قال: حدثنا الحضرمي، قال: حدثنا محمد بن الحرب الواسطي، حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمار بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس مرفوعًا. وعلته: إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٥٤/٧٥/١) أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، قال أحمد والنسائي: متروك. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال البخاري: سكتوا عنه. وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، قال الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص٣٢٠): «أمَّا قول البخاري: سكتوا عنه» فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرحٍ ولا تعديل، وعلمنا مقصوده بالاستقراء أنها بمعنى تركوه. فهذا الحديث ضعيف جدًا متروك، وأخرجه أيضًا من هذا الطريق: الدارقطني في «السنن» (ح٤٧٥٢)، وابن حبان في «المجروحين» (٨٨/١).

٥٧٩- «الأضاحي سُنة أبيكم إبراهيم، قالوا: فما لنا فيها؟ قال: بكل شعرة حسنة. قالوا: فالصوف؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنةٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٣١٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٩/٢) من حديث عائذ الله بن عبد الله المجاشعي، عن أبي داود السبيعي، عن زيد بن أرقم: قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذه الأضاحي؟ قال: فذكر الحديث. قال الذهبي في «التلخيص» ردًا على الحاكم تصحيحه قال: «عائذ الله قال أبو حاتم: منكر الحديث». قلت: وأشد منه ضعفًا أبو داود هو نفيع بن الحارث الكوفي الهمداني، نقل أقوال الأئمة فيه الإمام الذهبي في «الميزان» (٩١١٥/٢٧٢/٤)، قال ابن معين: «ليس بثقة»، وقال النسائي: «متروك»، وقال الدارقطني وغيره: «متروك الحديث»، وقال ابن حبان: «لا تجوز الرواية عنه».
قلت: ويغني عن هذه المنكرات هذا الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٥٥٤٦) من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ ذَبَحَ قبْلَ الصَّلاَةِ فإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ».

الأضحية وأحكامها

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله يهدي إلى الحقِّ، وإلى طريق مستقيم، أحمده سبحانه وأشكره، وأصلي وأسلم على صفوة خلقه ومصطفاه سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الكرام، الذين اقتفوا أثر نبيهم، واقتدوا بهديه، ففازوا بالرضوان والنعيم، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين. أما بعدُ:

فإنَّ من أعظم ما يتقربُ به إلى الله عز وجل في هذه الأيام الأضحية، فهي سنة الخليلين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، يُكره لمن قدر عليها أن يتركها، وإن ذبحها لأفضل من الصدقة بثمنها؛ لما فيها من إحياء السنة والأجر العظيم ومحبة الله لها.

فضحُّوا أيها المسلمون عن أنفسكم وعن أهليكم متقربين بذلك إلى ربكم متبعين لسنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث ضحى عنه وعن أهل بيته، ومن كان منكم لا يجد الأضحية فقد ضحى عنه النبي صلى الله عليه وسلم؛ جزاه الله عن أمته خيرًا.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَضْحَى بِالْمُصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى خُطْبَتَهُ نَزَلَ مِنْ مِنْبَرِهِ وَأُتِيَ بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي. (رواه أبو داود ٢٨١٠).

وهناك أحكام متعلقة بالأضاحي، يجدر بالمسلم أن يعرفها ليكون على علم في عبادته، وعلى بينة من أمره، ألخصها بما يأتي ذكره إن شاء الله.

تعريفها:

هي ما يُذبَحُ من النعم يوم النحر وأيام التشريق تقربًا إلى الله تعالى.

حكمها:

الأضحية سُنة واجبة على أهل كل بيت مسلم قَدَرَ أهله عليها، وذلك لقوله تعالى: « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » (الكوثر:٢)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من كان له سعةٌ، ولم يُضح فلا يقربن مصلانا». (صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٤٩).

ووجه الاستدلال به أنه صلى الله عليه وسلم لما نهى من كان ذا سعة عن قربان المصلى إذا لم يضح، دلَّ على أنه ترك واجبًا، فكأنه لا فائدة في التقرب بالصلاة للعيد مع ترك هذا الواجب.

وعن مخيف بن سُليم قال: كُنَّا وُقُوفًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ عَلَى كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ فِي كُلِّ عَامٍ أُضْحِيَّةً وَعَتِيرَةً، أَتَدْرُونَ مَا الْعَتِيرَةُ؟ هِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا النَّاسُ الرَّجَبِيَّةَ. (رواه ابن ماجه: ٣١٢٥).

وقد نُسخت العتيرة بقوله صلى الله عليه وسلم: « لاَ فَرَعَ وَلاَ عَتِيرَةَ». وَالْفَرَعُ أَوَّلُ النِّتَاجِ كَانُوا يَذْبَحُونَهُ

لطواغيتهم، والْعَتيرَةُ في رجب. (متفق عليه).
وعن جُنْدَب بْن سُفْيَانَ الْبَجَليِّ قَالَ: شهدْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ فقال مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيُعِدْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ. (متفق عليه).

ممّ تكون الأضحية؟

ولا تكون إلا من البقر والغنم والإبل؛ لقول الله تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» (الحج:٣٤).

سن الأضحية:

ولا يجزئ منها إلا الجذعُ من الضّأن، والثنيُّ مما سواه، والجذعُ من الضأن: قال الحافظ في الفتح (٥/١٠): الجذعة: بفتح الجيم والذال المعجمة هو وصف لسنٍّ معين من بهيمة الأنعام، فمن الضأن: ما أكمل سنة، وهو قول الجمهور، وقيل: دونها، والثني من الإبل: ما استكمل خمس سنين، ومن البقر ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة، والثني من المعز ما استكمل سنة ودخل في الثانية.

عن كم تجزئ البدنة والبقرة؟

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ. (مسلم: ١٣١٨).

عن كم تجزئ الشاة؟

الشاةُ تجزئ عن الرجل وأهل بيته:
عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا أَيُّوبَ الأَنْصَارِيَّ كَيْفَ كَانَتْ الضَّحَايَا فِيكُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضَحِّي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ، ثُمَّ تَبَاهَى النَّاسُ فَصَارَ كَمَا تَرَى. (سنن ابن ماجه: ٣١٤٧).

ما لا يجوزُ أن يُضحى به

عَنْ أَبِي الضَّحَّاكِ عُبَيْدِ بْنِ فَيْرُوزَ مَوْلَى بَنِي شَيْبَانَ قَالَ: قُلْتُ لِلْبَرَاءِ حَدِّثْنِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الأَضَاحِيِّ. قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدِي أَقْصَرُ مِنْ يَدِهِ فَقَالَ: أَرْبَعٌ لا يَجْزِنَ: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لا تُنْقِي. قُلْتُ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ فِي الْقَرْنِ نَقْصٌ، وَأَنْ يَكُونَ فِي السِّنِّ نَقْصٌ. قَالَ: مَا كَرِهْتَهُ فَدَعْهُ وَلا تُحَرِّمْهُ عَلَى أَحَدٍ. (النسائي: ٤٣٦٩).

وقت ذبح الأضحية:

وقت ذبح الأضحية صباح يوم العيد بعد الصلاة، أي صلاة العيد فلا تجزئ قبله أبداً.
عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ نَحَرَ قَبْلَ الصَّلاةِ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لأَهْلِهِ لَيْسَ مِنْ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ". (البخاري: ٩٦٥).
وعن جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ قَالَ: شَهِدْتُ الأَضْحَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْدُ أَنْ صَلَّى وَفَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ سَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ يَرَى لَحْمَ أَضَاحِيَّ قَدْ ذُبِحَتْ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاتِهِ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ ذَبَحَ أُضْحِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ أَوْ نُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ. (مسلم: ١٩٦٠).
ويستمر الذبح إلى غروب شمس آخر أيام التشريق، وهي الأيامُ الثلاثةُ بعد يوم العيد:
عن جُبير بن مُطعم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل أيام التشريق ذبحٌ». (رواه أحمد: ٨/٤، ونصب الراية: ٦١/٣).

أفضل الأضحية:

أفضلها: ما كانت كبشًا أقرن فحلاً أبيض يخالطه سواد حول عينيه وفي قوائمه، إذ هذا هو الوصف الذي استحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحى به.
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ فَحِيلٍ يَأْكُلُ فِي سَوَادٍ وَيَمْشِي فِي سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ. (النسائي: ٤٣٩٠).
وعن يُونُس بْن مَيْسَرَةَ بْن حَلْبَس قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي سَعِيدٍ الزُّرَقِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شِرَاءِ الضَّحَايَا، قَالَ يُونُسُ فَأَشَارَ أَبُو سَعِيدٍ إِلَى كَبْشٍ أَدْغَمَ لَيْسَ بِالْمُرْتَفِعِ وَلَا الْمُتَّضِعِ فِي جِسْمِهِ، فَقَالَ لِي: اشْتَرِ لِي هَذَا كَأَنَّهُ شَبَّهَهُ بِكَبْشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (سنن ابن ماجه: ٢٥٥٢).

ومعنى: «أدغم» هو الذي يكون فيه أدنى سواد، خصوصًا في أذنه وتحت حنكه.

من أراد أن يضحي فلا يأخذ في العشر من شعره:

عن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل العشرُ وأراد أحدُكم أن يضحي فلا يمسَّ من شعره ولا بشره شيئًا». (صحيح سنن النسائي: ٢٥٦٥).

وعنها أيضًا رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم هلال ذي الحجة، فأراد أن يُضحي، فلا يقربنَّ له شعرًا ولا ظفرًا». (صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٦٦).

وعنها أيضًا رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة، فأراد أن يضحي، فلا يقربنَّ له شعرًا ولا ظفرًا». (صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٦٦).

وعنها أيضًا رضي الله عنها أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة، فأراد أن يُضحي، فلا يقربنَّ له شعرًا ولا ظفرًا». (صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٦٦).

وعنها أيضًا رضي الله عنها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يُضحي فليمسك عن شعره وأظفاره». (مسلم: ١٩٧٧/٤١/١٥٦٥/٣).

ويستحبُّ لمن يُحسنُ الذبح أن يذبح أضحيته بيده، تأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَنَسٍ قَالَ ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ فَذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ. (متفق عليه).

الذبح بالمصلى:

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يذبح بالمصلى. (صحيح سنن ابن ماجه ٢٥٧٦).

الأكل من لحوم الضحايا:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ مِنْ كُلِّ جَزُورٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَأَكَلُوا مِنَ اللَّحْمِ، وَحَسَوْا مِنَ الْمَرَقِ. (صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٧٣).

أجرة جازرها من غيرها:

لا يعطي الجازر أجرة عمله من الأضحية:

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتِهَا، وَأَنْ لَا أُعْطِيَ الْجَزَّارَ مِنْهَا. قَالَ: نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا. (متفق عليه).

جلود الأضاحي:

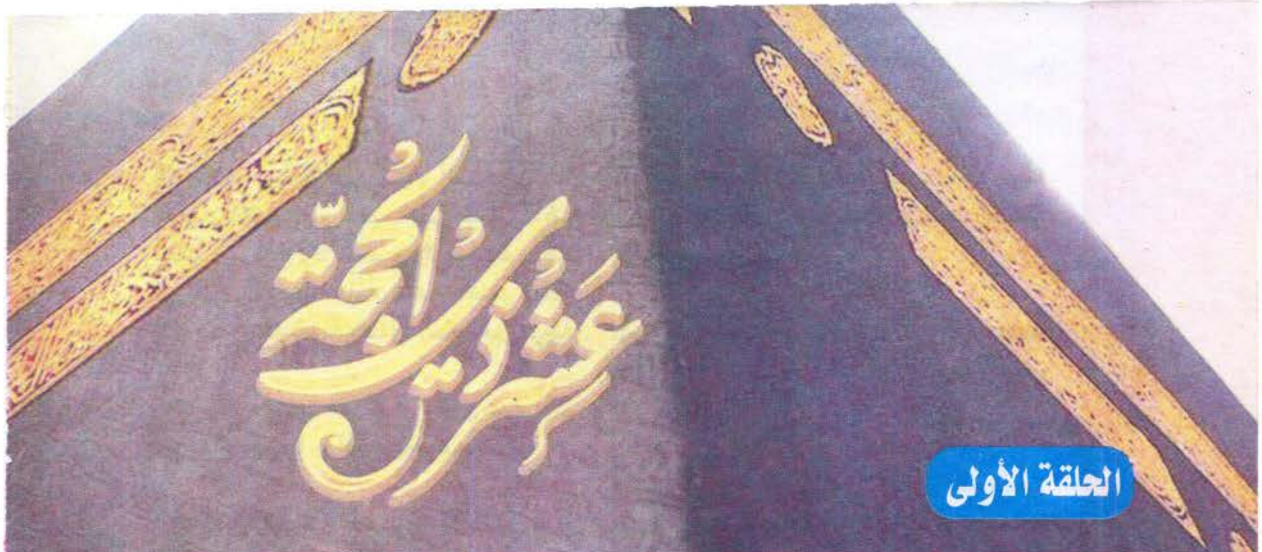
حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يقسم بدنه كلها لحومها وجلودها وجلالها للمساكين. (صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٧٢). ومعنى: «جلالها» الجل للدابة، كالثوب للإنسان تصان به.

قسمتها:

يستحبُّ لأهل البيت الذين ضحَّوا أن يأكلوا منها، وأن يهدوا منها، وأن يتصدقوا منها، قال صلى الله عليه وسلم: «كلوا وادَّخروا وتصدقوا». (البخاري: ٥٥٦٩، ومسلم: ١٩٧١).

فاتقوا الله عباد الله وانبذوا عن أنفسكم الشح، وضحوا وأنفقوا من مال الله الذي آتاكم، «وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (المزمل: ٢٠).

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.



الحلقة الأولى

خير أيام الدنيا

إعداد/ محمد عبد العزيز

الحمد لله رب العالمين، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فإن الله تعالى فاضل بين جميع خلقه، ففاضل بين المكلفين، وفاضل بين الأعمال، وفاضل بين الأزمان، وفاضل بين الأماكن.

ومن هذه المفاضلة ما اختص به الله أيام العشر الأول من ذي الحجة من الشرف على سائر الأزمان، فضاعف فيها الحسنات، وعظم فيها الأعمال، ورفع فيها الدرجات، وقد يكون من شرفها أن جمع فيها أصول أعمال البر، كالصلاة، والصدقة، والصوم، والحج، فإنها لا تجتمع إلا في هذه الأيام.

فعن ابن عباس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام، يعني: أيام العشر. قالوا: يا رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء». أخرجه البخاري (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٩)، والترمذي (٧٦٧)، وابن ماجه (١٧٢٧)، واللفظ لأصحاب السنن.

ولفظ البخاري: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟ قالوا: ولا الجهاد؟

قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء». فقوله: "ما من أيام": ما نافية بمعنى ليس، ومن حرف جر زائد، وأيام: نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، وقد أكدت بمن فصارت نصًا فيه.

فالمعنى الإجمالي لهذه العبارة: ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله أفضل من هذه الأيام.

ففضلها على سائر أيام العام بهذا النص، مع ما ورد في بعضها من فضل ظاهر، ومن أمثلة ذلك:

- يوم الجمعة فهو خير أيام الأسبوع، لقوله- صلى الله عليه وسلم -: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة». رواه مسلم.

وذلك مخصوص بهذا النص فكل يوم من هذه الأيام أفضل من يوم الجمعة، ويوم الجمعة فيها له مزيد فضل عن سائر أيامها.

- أيام العشر الأواخر من رمضان، هي خير أيام العام، وفي لياليها ليلة القدر، وفضل أيامها مخصوص بهذا النص، فكل يوم من هذه الأيام أفضل من كل يوم من أيام العشر الأواخر من رمضان، وكل ليلة من ليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من كل ليلة من ليالي العشر الأول من ذي الحجة ؛ جمعًا بين النصوص.

- ويوم عاشوراء فيه من الفضل ما فيه والصيام فيه مضاعف الأجر، وصيام ذلك اليوم مكفر للسنة التي قبله لقوله- صلى الله عليه وسلم -: «وصيام يوم

عاشوراء، إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبلها» رواه مسلم.

وكل يوم من هذه الأيام أفضل من يوم عاشوراء، لهذا النص.

- وكذا شهر الله المحرم له فضل وهو من الأشهر الحرم، وشهر شعبان له فضل وفيه ترفع الأعمال إلى الله، وفيه ليلة النصف من شعبان، وهذه الأيام أفضل عند الله منه لهذا النص.

وهذه الأيام- أيام العشر الأول من ذي الحجة- متفاضلة فيما بينها، فأفضلها يوم عرفة، ويوم النحر، ثم يوم الجمعة فيها لاجتماع الفضلين: فضل الجمعة، وفضل العشر.

وقوله: " العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام ":

يحتمل معانٍ: منها: أن العمل الصالح في الأيام العشر، وإن قل أفضل من العمل الصالح في غيرها وإن عظم. (انظر: المنهل العذب المورود (١٠/١٩٧)).

ولذا تعجب الصحابة من هذا الشرف، فأوردوا عملاً هو في الشرع من أعظم الأعمال عند الله، وهو الجهاد، فكيف يدخل في الأعمال المفضولة؟!

فقالوا: « يا رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: ولا الجهاد في سبيل الله؟» ودل سؤالهم هذا على تقرر أفضلية الجهاد عندهم، ويقرر هذه الأفضلية حديث أبي هريرة- رضي الله عنه -، قال: « جاء رجل إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم -. فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: لا أجده. قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟» قال أبو هريرة: « إن فرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له حسنات». أخرجه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨). (وقوله: " ليستن في طوله ": أي يمرح بنشاط من الاستنان وهو الجري. طوله: حبله الذي يشد به من طرف،ويمسك طرفه الآخر،ثم يرسل في المرعى).

فأجابهم النبي- صلى الله عليه وسلم- « قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء.»

فإشارة النص تبين أن الجهاد نوعان: جهاد بالنفس، وجهاد بالمال.

وأن المجاهد في سبيل: قد يرجع من جهاده بنفسه، وماله، وقد غنم.

وقد يرجع بنفسه وماله، ولم يغنم شيئًا.

وقد يرجع بنفسه دون ماله. وقد يرجع ماله دون نفسه.

وقد لا يرجع ماله، وقد مات في سبيل الله.

ثم بيَّن أن كل أحوال المجاهد بالنسبة للعمل في هذه الأيام مفضولة إلا الحالة الأخيرة، ألا يرجع من ذلك بشيء. (انظر: فتح الباري (٢/٤٦٠)).

فأي فضل أعظم من هذا!، أي شرف أعظم من هذا! وفوق هذا كله محبة الله للعمل في هذه الأيام العشر، فحري بالمسلم الناصح لنفسه ألا يضيع هذا الفضل، وأن يزاحم على محبة الله بنفسه وماله.

ما الذي يتقرب به إلى الله في هذه العشر؟

١- أعظم ما يتقرب به إلى الله في هذه العشر تجريد التوحيد.

٢- هجر المعاصي، والموبقات، لاسيما مع المجاهرة بها.

٣- الحج والعمرة.

٤- التكبير المطلق من أول العشر في المجالس والأسواق وغيرها فهي شعيرة ظاهرة.

فعن عمرو بن دينار قال: كان ابن عمر، وأبو هريرة- رضي الله عنهما- يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما. (ذكره البخاري في صحيحه في العيدين، باب فضل العمل أيام التشريق معلقًا مجزوما به (٢/٣٨١)).

٥- صيام يوم عرفة، وهو أفضل صيام التطوع، بإجماع العلماء لحديث أبي قتادة، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: « قال له رجل أرأيت صيام عرفة؟ قال: أحتسب عند الله أن يكفر السنة الماضية والباقية». أخرجه مسلم (١٩٧) (١١٦٢).

٦- صيام أيام العشر لحديث هُنيدةِ بن خالد، عن امرأته، عن بعض أزواج النبي-صلى الله عليه وسلم-، قالت: « كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يصوم تسعَ ذي الحِجَّة، ويومَ عاشوراء، وثلاثةَ أيام من كل شهر: أول اثنين من الشهر، والخميس».

٧- ذبح الأضحية يوم النحر، فهي من أعظم القرب التي يتقرب بها في هذا اليوم.

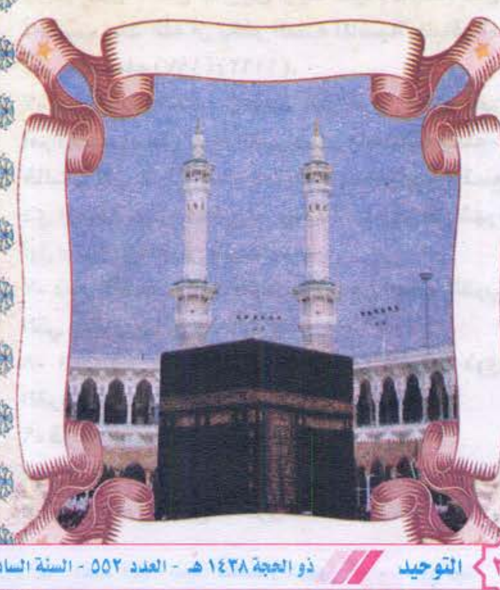
٨- الصدقة على الفقراء والمساكين لاسيما ذوي القربى.

٩- قراءة القرآن.

هذا ما يسره الله في هذه العجالة فإن يكن صوابًا، فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله.

مظاهر تعظيم البيت الحرام

إعداد/ د. صالح بن عبد الله بن حميد
إمام المسجد الحرام



الحمدُ لله، الحمدُ لله أنارَ بهديه قلوبَ العارفين، وأقام على الصراط المستقيم أقدامَ السالكين، أحمدُه- سبحانه- وأشكرُه أسبغَ علينا نعمًا، وأفاضَ علينا إحسانًا جعلَنا الله لها من الشاكرين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مُخلصين له الدين، وأشهدُ أن سيِّدنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه سيدُ المرسلين وإمام المتقين، صلَّى الله وسلَّم وبارَكَ عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا مزيدًا إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فأُوصيكم- أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله- رحمكم الله-، وتأملوا في العواقِب بعين الفِكَر، وخذوا زادًا كافيًا لبُعد السفرِ، ولا تكونوا في مواطِن الجِدِّ لاعبين، ولا عن طريق الرُّشد ناكبين.

اغسلوا القلوب بفيضِ المدامع، وتنبَّهوا لمُفاجآت المصارِع، فلسوف تخلُو المنازِلُ من أربابها، وتُؤذن الديارُ بخرابها، وتقومُ الخلائقُ لحسابها، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ) (الحج: ١، ٢).

أيها المسلمون.. حُجَّاج بيت الله: حللتُم أهلاً، ووطئتُم سهلاً، وقدِمتُم خير مقدَم. هذه مكة المُكرَّمة، وهذه الكعبةُ المُشرَّفة، وهذا بيت الله يستقبِلُكم ويحتضِنُكم.

مكة المُكرَّمة- زادَها الله تكريمًا وتشريفًا، وتعظيمًا ومهابةً وبِرًّا-، أعظمُ مُدن الأرض مكانة، وأعلى عواصمها شُهرة. باركَها الله، وجعلها مكانًا لبيته، ومورِد نبيِّه محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ومبعثه ومُتنزَّل وحيه، وقبلة المُسلمين في مشارِق الأرض ومغاربها، (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ) (الحج: ٢٦).

أحبُّ البلاد إلى الله، وخيرُها عنده، اختارها لمناسك عباده، وجعل قصدَها فرضًا من فروض الإسلام. أولُ الحرمين، وثاني القبلتين، اعتنى العلماءُ بتاريخها، وتوثيق أخبارها، وبيان

أحكامها، يُنفقُ في الوصول إليها نفيسُ الأموال، وتُقتحمُ من أجل بلوغها عظيمُ الأهوال.
معاشر المسلمين.. ضيوف الرحمن: بتعظيم بيت الله يعظُم الدين، ويتمُّ الإسلام، وتستقيمُ الدنيا، وتُشهَدُ المنافع. مكة هي أم القرى جميع القرى بحواضرها وقراها، وكل معموراتها، وهي أم الثقافة والتاريخ، أقسم الله بها وبأمنها، فقال- عزَّ شأنه-: (وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ) (التين: ٣).
معاشر الأحبَّة: وهذه وقفاتٌ مع ما ينبغي من تعظيم هذا البيت، ومظاهر هذا التعظيم، واشاراتٌ لهذا الشرف والتكريم الإلهي، والاصطفاء الربَّاني.
أيها الإخوة في الله.. حُجَّاج بيت الله: وهل أعظمُ إجلالاً وتكريمًا من أن أضاف الحقُّ- عزَّ شأنه- البيتَ إلى نفسه، فقال: (وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ) (الحج: ٢٦).
فكم تقتضي هذه الإضافة الخاصة من الإجلال والتعظيم والاصطفاء والمحبَّة؟!
ونبيُّنا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- يقفُ على الحزوَرة مُودِّعًا البلد الطاهر، مُكرهًا غير مختار، ثم يُقسم بقوله: «والله إنك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجتُ منك ما خرجتُ».
وهي حبيبةُ نبيِّنا محمد- صلى الله عليه وسلم-، يقول- عليه الصلاة والسلام-: «ما أطيبَكِ من بلد، وأحبَّكِ إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيركِ» (أخرجه الترمذي في «سننه»، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصحَّحه ابن حبان والحاكم والألباني).
وهل رأيتم أعظمَ من قوله- صلى الله عليه وسلم- في صُلح الحديبية: «والذي نفسي بيده؛ لا يسألوني خطة يُعظِّمون فيها حُرمات الله إلا أعطيتُهم إياها»؟!
أيها المُسلمون: ومن مظاهر عظمة هذا البيت وتعظيمه: ما وضعَ الله فيه من الآيات البيِّنات والهُدى، فقال- عزَّ شأنُه-: (إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ) (آل عمران: ٩٦، ٩٧).
يقول ابن جرير- رحمه الله-: «الآيات البيِّنات منهن: المقام، ومنهن: الحجَر، ومنهن: الحَطيم».
ويقول البغوي: «ومن تلك الآيات: الحجر الأسود، والحطيم، وزمزم، والمشاعر كلها».

أما الكعبة المُشرَّفة- يا عباد الله- فهي من أعظم الآيات البيِّنات؛ ففي الحديث: «لا تزال هذه الأمة بخير ما عظَّموا هذه الحُرمة حقَّ تعظيمها، فإذا تركُوها وضيَّعوها هلَكُوا»؛ حسَّنه الحافظ ابن حجر.
ومن أعظم الغرائب في سُنَن الله: أن جعلَ نهايةَ العالَم بنهاية هذا البيت وخرابه واستحلاله، والجُرأة عليه، فأمانُ العالَم كله قدَّره الله مُرتبطًا بأمن مكة وتعظيمها وعُمرانها. ومن هنا، قال- جل وعلا-: (جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ) (المائدة: ٩٧).
ومن الآيات البيِّنات: الرُّكنُ والمقام، قال- عزَّ شأنه-: (وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ) (البقرة: ١٢٥)، وقال: (فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ) (آل عمران: ٩٧). قال قتادةُ ومُجاهد: «مقامُ إبراهيم من الآيات البيِّنات».
وفي الخبر: «إن الرُّكن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمسَ الله نورَهما، ولو لم يُطمس نورُهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب» (أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم، وهو صحيحٌ لغيره).
ومن الآيات البيِّنات: ما جاء في حديث ابن عباس- رضي الله عنهما-، قال: قال رسولُ الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «ليأتينَّ هذا الحجرُ يوم القيامة وله عينان يُبصر بهما، ولسانٌ ينطقُ به يشهدُ على من يستلمُه بحقٍّ» (أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حبان والألباني، وقال الترمذي: «حديثٌ حسن»).
وكان ابن عُمر يُقبِّل الحجر ويلتزمُه ويقول: «رأيتُ رسولَ الله- صلى الله عليه وآله وسلم- كان به حفيًا».
يقول الحافظ ابن القيم- رحمه الله-: «ليس على وجه الأرض موضعٌ يُشرعُ تقبيلُه واستلامُه، وتُحطُّ الخطايا والأوزار فيه غيرَ الحجر الأسوَد والرُّكن اليماني».
والمُلتزَمُ من آيات البيت البيِّنات، يقول ابن عباس- رضي الله عنهما-: «المُلتزَمُ بين الرُّكن والباب».
قال جمعٌ من أهل العلم: «يلتزمُ بين الرُّكن والباب، فيضعُ وجهه وصدرَه وذراعيه ويدعُو ويسألُ الله حاجتَه».
أما ماءُ زمزم فخيرُ ماء على وجه الأرض، فيه طعامُ من طُعم، وشفاءُ من السُّقم، بذلك صحَّ الخبرُ عن رسولِ الله- صلى الله عليه وسلم-. وهو لما شُرب له،

وهو هَزمةُ جبريل، وسُقيا إسماعيل.
يقول مُجاهد: «إن شربتَه تُريد الشفاء شفاكَ الله، وإن شربتَ تُريدُ أن تقطعَ ظمأك قطعه الله، وإن شربتَه تُريدُ أن يُشبعَك أشبعَك الله».

معاشر الحُجَّاج، وهذا البيت هُدًى للعالمين؛ فهو هُدًى في العمل، لما جعلَه الله فيه من أنواع التعبُّدات المُختصَّة به، وهو هُدًى في العلم والمعرفة، فيه من آيات العلم البيِّنات والأدلة الواضحات، والبراهين القاطعات على أنواع من العلوم الربانيَّة، والمطالب العاليَة، من الأدلة علَى توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وتشريعه وأحكامه، وما منَّ به على أنبيائه وأوليائه والصالحين من عباده.

وكلُّ هُدًى مُقتبَسٌ منه، فهو قبلةٌ في الحق، وقبلةٌ في الاتجاه.

ومن أعظم خصائص هذا البيت، ومظاهر تعظيمه: هذا الأمن العظيم الذي جعلَه الله أحدَ أوصافه، ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (البقرة: ١٢٥)، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (العنكبوت: ٦٧).

وإن من مظاهر الأمن في هذا البيت المُعظَّم: ما يعيشه الحرمان الشريفان وأهلُهما وقاصدُوهما في هذا العهد المُبارَك، من أمنٍ وافر، وخيرٍ مُتكاثر، ولعلَّه يتجلَّى ذلك في هذه الأيام في شكلٍ أظهر؛ حيث تخوضُ الدولة مع التحالف حربًا حازمة لإعادة الأمل لإخواننا وجيراننا، ومع ما يتطلَّب كل ذلك من استعدادات وأعمار واحتياطات.

ولكنَّ المُشاهَد أن الناس مُواطنين ومُقيمين ووافدين يتقلَّبون في معاشهم، العاملون في أعمالهم، والمُسافرون في أسفارهم، والمُجازُون في إجازاتهم.

كما تستقبلُ هذه البلاد وهذا البلد الآمن، تستقبلُ إخوانَها الفارِّين من مواقع الفتن الاضطرابات في بلادهم، وتفتحُ أبوابَها لتُعامِلهم كما تُعاملُ إخوانهم المُواطنين والمُقيمين.

ما تستقبلُ الملايين من حُجَّاج بيت الله الحرام وقاصديه، وهي- ولله الحمد- مُوفَّقةٌ في سياساتها واقتصادها وعلاقاتها، على الرغم من الاضطرابات المالية، وتقلُّبات الأسعار.

كيف وهي- ولله الفضلُ والمنَّة- ترفعُ رايةَ الكتاب والسنة، وتُحكِم الشرعَ المُطهَّر، وشعائرَ الإسلام فيها ظاهرة، تُعطي المُحتاج، وتُواسي المكلُوم، وتُحاسبُ المُقصِّر، في رحمة وحزم وشفافية. فلله الحمدُ والمنَّة.

بمُلاحظة ذلك كلِّه- أيها الإخوة- يُدرك المُتأمِّل هذا الأمنَ الوارف، وحفظَ الله لأهل حرمِه ورُعاة بيته، وخُدَّام ضيوفه.

معاشر الإخوة: هذا هو بيت الله، وهذا هو حرمُه، الصلواتُ فيه مُضاعفَة، الصلاةُ الواحدةُ بمائة ألف صلاة فيما سواه، والإيمانُ يأرزُ بين المسجدين مكة والمدينة كما تأرزُ الحيَّةُ إلى جُحرها. وهي محفوظةٌ محروسةٌ من الدجال، ليس نقبٌ من نقابها إلا عليه الملائكةُ صافِّين يحرُسُونها، والرِّحالُ تُشدُّ إليه مع شقيقيه المسجد النبوي والمسجد الأقصَى.

والوعيدُ الشديدُ لمن همَّ بالمعصية فيه، ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥).

يقول ابن مسعود- رضي الله عنه-: «ما من رجُل يهمُّ بسيئة فتُكتبُ عليه، ولو أن رجلاً بعدن أبيَن همَّ أن يقتل رجلاً بهذا البيت إلا أذاقَه الله العذابَ الأليم».

معاشر الأحبَّة.. حُجَاج بيت الله: هذه إشاراتٌ لبعض هذه الآيات البيِّنات.

أما تعظيمُ البيت وإجلالُه وإكرامُه، فأولُ مظاهر التعظيم وأولاها: فعل ما يحبُّه الله ورسولُه، وتركُ ما لا يُحبُّه الله ورسولُه. تعظيم البيت بتعظيم شعائر الله، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢).

وأولُ ذلك وأولاه: الحرصُ على تحقيق التوحيد، وسلامة المُعتقد، والبُعد عن كل مظاهر البدع والتعلق بغير الله، فضلاً عن المعاصي والمخالفات، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم: ٣٥)، ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ (الحج: ٢٦).

فهذا البيت المُعظَّم بُني لتوحيد الله وعبادته، والتقرُّب إليه بما شرَع، وتحرِّي بركته بالأعمال الصالحة.

وفي الخبر الصحيح، عن ابن عُمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-: «استمتعوا بهذا البيت، فقد هُدم مرتين، ويُرفع في الثالثة» (أخرجه ابن أبي شيبة والبزار، وصحَّحه ابن خزيمة والألباني).

وجاء في الأثر: «استكثروا من الطواف بهذا البيت ما

استطعتم من قبل أن يُحال بينكم وبينه».
معاشر المسلمين، ومعاشر الأحبَّة: ومن التعظيم: إكرامُ الوافدين- ضيوف الرحمن- حُجَّاجا وعُمَّارًا وزوَّارًا، في رحمة وحُسن معشر، واستقبال وبشاشة، وطلاقة وجه، وتقديم ما يُستطاع من خدمة. الجاهلُ يُعلَّم، والفقيرُ يُواسَى، والكبيرُ يُوقَّر، والصغيرُ يُرحَم، والمُقصِّر يُدعَى. في تيسير للأمور، وتفريج للكروب، وأقربُ الناس من رحمة الله أرحمهم بخلقه.

وبعدُ- حفظكم الله ورحمكم-: هذا بلدُ الله، وهذا بيتُه، عظَّم حُرمته، فجعل حرمَه آمنًا، لا يُسفك فيه دم، ولا يُضرب فيه أحد، ولا يُنفَّر فيه صيد، ولا يُعضَد فيه شجر، ولا يُختلَى خلاه، ولا تُلتقط لقطتُه إلا لمُعرِّف.

وإن أعظم التعظيم: لزومُ جادَّة الشرع، والإحسان إلى الناس، وطهارة النفس ونقائها، وحبها للخير ولعباد الله، ولبقاع الله الطاهرة.

أما بعد، معاشر المسلمين: لئن كان هذا الحديث عن المسجد الحرام ومكة- شرَّفها الله-، فإن هذا يقودُ ويدعُو ويُذكِّر بالحديث عن شقيقه وتوأمه: المسجد الأقصى، (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (الإسراء: ١).

إنه الربط الرباني بين المسجدين، والمسرَى النبوي بين البلدتين. فما هو حالُ المسجد الأقصى هذه الأيام؟!

إنه يعيش اعتداءات آثمة، ومُمارسات وحشيَّة، وسياسات عُنصريَّة. اعتداءات يهودية تشهدها ساحاتُ المسجد الأقصى، إنها إعلانُ حرب على هويَّة المسجد الإسلامية، وهي امتدادٌ لهذا الاغتصاب الظالم الآثم الجائر لفلسطين المُحتلَّة كلها، أمام صمت العالم وعجزه.

اعتداءاتٌ تحمل المسجد من المُعاناة على إخواننا الفلسطينيين عامَّة، وعلى المقدسيين خاصة، وتُظهر ما يطمعُ إليه هؤلاء الصهاينة من تقسيم للمسجد، خيَّب الله مسعاهم، وأبطل كيدهم، وجعله في نحورهم.

لقد اختار هؤلاء الصهاينة هذا التوقيت استغلالاً لما تعيشه أمة الإسلام عامة، والمنطقة خاصة من تناحُر وفُرقة وفتن، وتناحُر إرهابيٍّ وطائفيٍّ.

معاشر المسلمين.. حُجَّاج بيت الله: ولكن لعل في هذا الحدث الجلَل الذي يتعرَّض له المسجد الأقصَى المُبارَك ما يُوقظُ المُسلمين. فالأقصَى هو المُلتقى الذي يلتقي عنده المُسلمون، بكل مذاهبهم وانتماءاتهم واهتماماتهم.

وإن من الواجب المُتعيِّن أخذ الدروس والعبر إلى أبعَد مدى، والاستفادة من أن هذه الفُرقة وهذا التناحُر لم يستفد منه إلا هذا العدوُّ المُشترَك.

نعم، أيها المسلمون.. الأقصَى المُبارَك هو الذي يجبُ أن تنتهي عنده الخلافات، فهو الذي يُوحِّد بين المسلمين عامة، والفلسطينيين خاصة، ولا يُمكن أن يُترَك إخوانُنا المُقاومون وحدَهم أمام هذا العدو المُتسلِّط. إنها قضيَّةُ أهل الإسلام جميعًا، والانتصارُ لها وتأييدها مسؤوليَّةُ كل مُسلم.

معاشر الأحبَّة: إن الدعوة مُوجَّهةٌ لجميع المُسلمين، وبخاصَّة الساسَة منهم وأصحاب القرار، دُولاً ومُنظَّمات وهيئات، لبذل كل ما يستطيعون من قوة سياسيَّة ومادية ونظامية ودولية.

ونقول- وبكل ثقة-: إن إنقاذ المسجد الأقصَى ليست مهمةً عسيرةً، إذا صحَّت النوايا، وصدقَت العزائم، وتوحَّدت الجهود، واستوعَبَت الدروس.

فالمُسلمون كلهم يدٌ على من عاداهم، والأمةُ الحيَّة هي التي تخرُج من ظلام الخُذلان إلى نور الأمل. إن هذه الأمة حيَّةٌ لا تموت، حيَّةٌ بقوة الله، ثم بقوة هذا الدين، وامتلاء القلوب بالثقة بالله- عزَّ شأنه- .

والخلافُ مع الصهاينة خلافُ عقيدة، وصراعٌ بين وعد الحق ووعد مُفترَى. وهذه مسؤولية الجميع، شعوبًا وحكومات وهيئات ومُنظَّمات.

إن نُصرة القدس وفلسطين تكون ببُروزها حيَّةً في القلوب، وفي الكتب، والكتابات، وفي المناهج، وفي الإعلام، وفي كل السياسات. ثم بتأييد إخواننا المرابطين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، فهم في مُقاومة شريفة، في قوتها وإرادتها وثباتها وتحمُّلها، وسيبقَى الرِّباط والمُرابطون- بإذن الله وحوله وقوته-، والنصرُ قادمٌ- بإذن الله-، (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (الشعراء: ٢٢٧).

نسأل الله أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين.

فقر المشاعر

فقر المشاعر بين الزوجة ووالدي زوجها

الحلقة السابعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن كثيرًا من الأزواج يشكون من فقر المشاعر بين زوجته ووالديه، وعلى وجه الخصوص أمه، فتجد من الزوجات من لا تراعي مشاعر والدي زوجها، وهذا الأمر يأخذ صورًا شتى، فمن ذلك رفع الصوت عليهما، وقلة التودد لهما.

ومن ذلك إذلالهما، واحتقارهما، وكثرة ذمهما، وتمني الخلاص من العيش معهما، وإغراء الزوج بعقوقهما.

إعداد/ د. محمد بن إبراهيم الحمد

ومن مظاهر ذلك الغيرة من الأم، ومعاملتها على أنها منافسة لها، وشريكة معها في زوجها، فإذا قدم لأمه هدية، أو أي نوع من أنواع البر ثارت ثائرتها إلى غير ذلك من صور فقر المشاعر.

وإذا أرجعنا البصر في أسباب ذلك وجدناها ناتجة من قلة التقوى، وسوء التربية، وضعف العقل.

كذلك تنتج هذه المعاملة عن ضيق العطن، وصغر النفس، فالنفوس تختلف سعة وضيقًا، كما تختلف الحُجر والمنازل والأماكن؛ فمن الناس من تضيق نفسه حتى تكون كسَمّ الخِياط، ومنهم من تتسع نفسه حتى تشمل العالم وما فيه.

فما ثمرة تلك المعاملة من الزوجة؟ إنها تُنغِّص عيشتها وعيشة من تعاشره، لا الزوجة تسعد، ولا زوجها ولا والداه.

وكما أن فقر المشاعر قد يصدر من الزوجات فقد يصدر من الوالدين، أو أحدهما، وخصوصًا الأم؛ فمن الأمهات- هداهن الله- من هي قاسية في التعامل مع زوجة الابن، فتراها تضخم المعايب، وتخفي المحاسن، وقد تتقوّل على الزوجة، وقد تذهب كل مذهب في تفسير التصرفات البريئة، وتأويل الكلمات العابرة.

ومن صور فقر المشاعر في هذا الصدد عقد المقارنة بين زوجات الأبناء، فترى أهل الزوج- وخصوصًا أمه- يبالغون في الثناء على هذه الزوجة بأنها تجيد الطبخ، ويعيبون الأخرى بأنها خلاف ذلك، أو يثنون على هذه باللباقة، ويصفون الأخرى بالغلظة، أو يدَّعون بأن هذه تدير زوجها على ما تريد، وأن الأخرى لا ترفع صوتها فوق صوت زوجها.

ومن هنا تنشأ النفرة، ويسود سوء الظن، وتتأجج نار الغيرة.

وهذا خطأ كبير، فاللائق بأهل الزوج أن يحتفظوا بآرائهم لأنفسهم، وألا يذكروا أولئك الزوجات إلا بخير خصوصًا عند أبنائهم؛ لأن ذلك مما يفرح الأبناء، ويزيد في الألفة.

ومن صور التفريط في مراعاة المشاعر مبالغة بعض الأمهات في تفضيل بعض زوجات أبنائها على زوجات الأبناء الأخريات، وإظهار ذلك دون مداراة أو مواربة.

ولا ريب أن ذلك مما يوغر صدور الأبناء، ويسبب النفرة بين الأم وباقي الزوجات.

إلى غير ذلك من صور فقر المشاعر؛ فما الحل إذن في مثل هذه الأحوال؟ هل يقف الإنسان مكتوف اليدين فلا يحرك ساكنًا؟ هل يعق والديه، ويسيء إليهما، ويسفه رأيهما، ويردهما بعنف وقسوة في سبيل إرضاء زوجته؟!

أو يساير والديه في كل ما يقولانه في حق زوجته، ويصدقهما في جميع ما يصدر منهما من إساءة للزوجة مع أنها قد تكون بريئة ووالداه على خطأ؟

وهل يرضى بأن تسود لغة القسوة، وتختفي لغة المشاعر الصادقة الطيبة؟

لا، ليس الأمر كذلك، وإنما عليه أن يبذل جهده، ويسعى سعيه في سبيل إصلاح ذات البين، ورأب الصدع، وجمع الكلمة.

إن قوة الشخصية في الإنسان تبدو في القدرة على الموازنة بين الحقوق والواجبات التي قد تتعارض أمام بعض الناس، فتلتبس عليه الأمر، وتوقعه في التردد والحيرة.

ومن عظمة الشريعة أنها جاءت بأحكام توازن بين عوامل متعددة، ودوافع مختلفة، والعاقل الحازم يستطيع- بعد توفيق الله- أن يعطي كل ذي حق حقه.

وكثير من المآسي الاجتماعية، والمشكلات الأسرية تقع بسبب الإخلال بهذا التوازن.

ومما يعين على تلافي وقوع هذه المشكلات أن يسعى كل طرف من الأطراف في أداء ما له وما عليه.

وفيما يلي إشارات، وإرشادات عابرة تعين على ذلك؛ وهذه الإشارات، والإرشادات تخاطب الابن الزوج، وتخاطب زوجته، وتخاطب والديه وخصوصًا أمه، وهي:

١- دور الابن (الزوج): فمما يعين الابن الزوج على التوفيق بين والديه وزوجته ما يلي:

أ- مراعاة الوالدين وفهم طبيعتهما، وذلك بألا يقطع البر بعد الزواج، وألا يبدي لزوجته المحبة أمام والديه.

كما عليه أن يداري والديه، وأن يحرص على إرضائهما، وكسب قلبيهما.

ب- إنصاف الزوجة؛ وذلك بمعرفة حقها، وبأن لا يأخذ كل ما يسمع عنها من والديه بالقبول، بل عليه أن يحسن بها الظن، وأن يتثبت مما يُقال.

ج- اصطناع التودد؛ فيوصي زوجته- على سبيل المثال- بأن تهدي لوالديه، أو يشتري بعض الهدايا ويعطيها زوجته؛ كي تقدمها للوالدين- خصوصًا الأم.

و- التفاهم مع الزوجة؛ فيقول لها مثلاً: إن والدي جزءٌ لا يتجزأ مني، وإنني مهما تبلد الحس عندي فلن أعقهما، ولن أقبل أيَّ إهانة لهما، وإن حبي لك سيزيد وينمو بصبرك على والدي، ورعايتك لهما.

٢- دور زوجة الابن: أما زوجة الابن فإنها تستطيع أن تقوم بدور كبير في هذا الصدد، ومما يمكنها أن تقوم به أن تؤثر زوجها على نفسها، وأن تكرم قرابته، وأن تزيد في إكرام والديه، وخصوصًا أمه؛ فذلك كله إكرام للزوج، وإحسان إليه.

كما أن فيه إيناسًا له، وتقوية لرابطة الزوجية، وإطفاءً لنيران الفتنة.

وإذا كان الزوج أعظم حقًّا على المرأة من والديها، وإذا كان مأمورًا شرعًا- بحفظ قرابته، وأهل ودِّ أبيه؛ تقوية للرابطة الاجتماعية في الأمة- فإن الزوجة مأمورة شرعًا بأن تحفظ أهل ودِّ زوجها من باب أولى؛ لتقوية الرابطة الزوجية.

ثم إن إكرام الزوجة لوالدي زوجها- وهما في سن والديها- خُلُقٌ إسلامي أصيل، يدل على نبل النفس، وكرم المحتد.

ولو لم يأتها من ذلك إلا رضا زوجها، وكسب محبة الأقارب، والسلامة من الشقاق والمنازعات، زيادة على ما سينالها من دعوات مباركات.

كما أن على الزوجة الفاضلة ألا تنسى- منذ البداية- أن هذه المرأة التي تشعر أنها منافسة لها في زوجها- هي أم ذلك الزوج، وأنه لا يستطيع مهما تبلد فيه الإحساس أن يتنكر لها؛ فإنها أمه التي حملته في بطنها تسعة أشهر، وأمدته بالغذاء من لبنها، وأشرقت عليه بعطفها وحنانها، ووقفت نفسها على الاهتمام به حتى صار رجلاً سويًا.

فإذا شاع في المنزل والأسرة أدب الإسلام، وعرف كل فرد ما له وما عليه سارت الأسرة سيرة رضيَّة، وعاشت- في أغلب الأحيان- عيشة هنيئة.

واعلمي- أيتها الزوجة- أن زوجك يحب أهله أكثر من أهلك، ولا تلوميه في ذلك؛ فأنت تحبين أهلك أكثر من أهله، فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله، أو أذيتهم، أو التقصير في حقوقهم، فإن ذلك يدعوه إلى النفرة منك، والميل عنك.

إن تفريط الزوجة في احترام أهل زوجها تفريط في احترام الزوج نفسه، وإذا لم يقابل ذلك- بادي الرأي- بشيء فلن يسلم حبُّه للزوجة من الخدش، والتكدير.

نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا، ويبارك لنا في آبائنا وأزواجنا وأبنائنا، وأن يصلح أحوالنا أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

أهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبًا

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

أهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحباً
أهلاً به من وافدٍ ونزيلِ
أهدي الوقار وذاد كلَّ جهالة
كانت وساق إليَّ كلَّ جميلِ
فصحبت في أهل التقى أهل النهى
ولقيت التعظيم والتبجيلِ
ورأى لي الشُّبان فضل جلالة
لما اكتهلت وكنت غير جليلِ

(شَاب) فلَان شيبًا وَشَيْبَة أبيض شعره، وَيُقَال شَاب الشّعْر وشاب الرَّأْس فَهُوَ شائب وأشيب وَالْأَكْثَر أَن يُقَال للرجل أشيب وللمرأة شَمْطَاء. المعجم الوسيط (١/٥٠٢).

من أسباب الشيب:

١- كبر السن:

أ- قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» (الروم: ٥٤).

مع تقدّم العمر يُصابُ كلُّ إنسان بدرجات متفاوتة من الشيب، فالشيبُ يلازمُ التقدمَ في السنّ غالبًا. (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١/١٨٥).

ب- قال تعالى: «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا» (مريم: ٤).

وهن العظم واشتعال الرأس شيبًا كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه. (تفسير الظلال: ٤/٢٣٠٤).

٢- الخوف والفزع:

أ- قال تعالى: «يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» (المزمل: ١٧).

كَأَنَّ شِدَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْقُلُهُمْ مِنْ سِنِّ الطُّفُولِيَّةِ إِلَى سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمُرُّوا فِيمَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ بِسِنِّ الشَّبَابِ، وَهَذَا هُوَ الْمُبَالَغَةُ الْعَظِيمَةُ فِي وَصْفِ الْيَوْمِ بِالشِّدَّةِ. (مفاتيح الغيب: ٣٠/٦٩٢).

ب- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» سنن الترمذي (٣٢٩٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٣).

٣- العوامل الوراثية:

- حيث إن من العوامل الوراثية تؤدي إلى ضعف الخلايا المصنعة لصبغة الميلانين الموجودة في جذور الشعر المسئولة عن إعطاء اللون للشعر.

من فوائد الشيب:

أولاً: في الدنيا منها:

١- نور للمؤمن وحسنات:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الشَّيْبُ نُورُ الْمُؤْمِنِ لَا يَشِيبُ رَجُلٌ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَيْبَةٍ حَسَنَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةً " (صحيح الجامع: ٣٧٤٨).

(الشيب نور الْمُؤمن) لِأَنَّهُ يمْنَع عَن الْغرُور والخفة والطيش ويرغبه فِي الطَّاعَة وَذَلِكَ يجلب النُّور. التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٨٦).

(لا يشيب رجل شيبة في الإسلام) أي شعرة واحدة حال كونه في الإسلام. (إلا كانت له بكل شيبة حسنة) أي إلا وجدت له بكل شيبة تأتيه حسنة. (التنوير شرح الجامع الصغير: ٦/٥٦١).

ج- في رأس كل إنسان من مئة ألف إلى مئتين وخمسين ألف شعرة. (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١/١٨٥).

٢- الوقار والتكريم:

سمى الشيب وقارا؛ لأن زمان الشيب أوان رزانة النفس والسكون والثبات في مكارم الأخلاق. (شرح المشكاة للطيبي: ٩/٣٤٩٢).

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ،

وَحامل الْقُرْآنِ غَيْر الْغَالي فيه وَالْجَافِ عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» سنن أبي داود (٤٨٤٣) وحسنه الألباني.

- قوله صلى الله عليه وسلم: (إن من إجلال الله) يعني: من تبجيل الله وتعظيم الله، ومن هذه العلامات التي تبين أن هذا الإنسان يُعظم الله سبحانه وتعالى: (إكرام ذي الشيبة المسلم) أي: الذي شاب رأسه ولحيته في التوحيد وفي العبادة وفي الصيام وفي طاعة الله سبحانه وتعالى، وفي ذكره عز وجل. فهذا لا شك أنه تتضاعف حرمته بسبب هذا النور الذي جعله الله في شعره، وهو نور المسلم كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه الشيبة تُوجب له حقًّا زائدًا على من هو دونه.

ثانيًا: من فضائل الشيب في الآخرة:

١- تكفير للسيئات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسلم قال: "لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ وَرُفِعَ له بها درجة" (صحيح ابن حبان: ٢٩٨٥) وحسَّن إسناده شعيب الأرناؤوط، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٤٣).

٢- نور يوم القيامة:

- عن كَعْب بْن مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» سنن الترمذي (١٦٣٤).

٣- رفع الدرجات في الجنات:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " الشَّيْبُ نُورُ الْمُؤْمنِ؛ لا يَشِيبُ رَجُلٌ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلا كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَيْبَةٍ حَسَنَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةً" (صحيح الجامع: ٣٧٤٨).

(وَرفع بهَا دَرَجَة) أي منزلة عالية في الْجنَّة وَالْمَرْأَة كالرَّجل. (التيسير في شرح الجامع الصغير: ٢/٨٦).

ماذا يفعل من وصل إلى المشيب؟:

١- التوبة والرجوع إلى الله تعالى:

قال تعالى: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (الأحقاف: ١٥).

٢- كثرة الأعمال الصالحة:

أ- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» سنن الترمذي (٢٣٢٩).

ب- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُه " صحيح الجامع (٧٣٧٥).

ج- قال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ» (الرعد: ٢٩)، أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن.

٣- الاستعداد للموت:

الشيب نذير لك بقرب أجلك فاستعد للموت.

أ- قال تعالى: «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» (فاطر: ٣٧). «يَعْني الشَّيْبَ» صحيح البخاري.

- قال بعض المفسرين: (النذير) هو الشيب الذي يزحف إلى شعر الرأس وغيره، فإذا بدأ الإنسان يتقدم في العمر وظهر منه الشيب، فهذا عبارة عن إنذار من الله سبحانه وتعالى بأنه قد اقترب من النهاية، واقترب من الوصول إلى المحطة الأخيرة. (لماذا نصلي، المقدم: ٤/١٣).

٤- التحذير من نتف الشيب:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلم قال: "لا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٤٣).

ب- عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، كَانَتْ نُورًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَ ذَلِكَ: فَإِنَّ رِجَالًا يَنْتِفُونَ الشَّيْبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ شَاءَ فَلْيَنْتِفْ نُورَهُ". مسند أحمد (٢٣٩٥٢)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط.

٤- يجوز صبغ الشيب بالحناء:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَحْسَنَ مَا غُيِّرَ بِهِ الشَّيْبُ الْحِنَّاءُ وَالْكَتَمُ» سنن الترمذي (١٧٥٣) وصححه الألباني.

الكتم: هو نبت لونه بين الحمرة والسواد.

٥- التحذير من صبغ الشيب بالسواد:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ، كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ، لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» سنن أبي داود (٤٢١٢) وصححه الألباني.

٦- من السنة إكرام الشعر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ» سنن أبي داود (٤١٦٣) وقال الألباني: حسن صحيح.

اللهم ارزقنا حُسن الخاتمة يا رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

من آداب وأحكام الحج

قال تعالى: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ" (البقرة: ١٩٧).

فضل الصلاة في المسجد الحرام

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه" (مسند أحمد).

الحج يمحو الذنوب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه».

(صحيح البخاري).

رفع الصوت عند التلبية

عن زيد بن خالد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال لي: "إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج".

(صحيح الجامع)

من أحكام الحج للنساء

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرى إلا الحج، فلما كنا بسرف أو قريبًا من سرف حضتُ فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقال ما لك؟ أنفست؟ أي (أحضت) قلت: نعم. قال: "إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضي المناسك كلها غير أن لا تطوفي بالبيت". (صحيح مسلم).

من آداب الطواف

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الطواف حول البيت مثل الصلاة؛ إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير" (رواه الترمذي).

إعداد/ علاء خضر

من السنة التعجل بالحج

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تعجلوا إلى الحج؛ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له". (صحيح الجامع).

دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

(رواه الترمذي)

اجعل الحج من أمانيك

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يدعو: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة".

(صحيح الجامع).

من سنن العيد !

عن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يخرج إلى العيدين ماشيًا، ويصلي بغير أذان ولا إقامة، ثم يرجع ماشيًا في طريق آخر"

(صحيح الجامع).

فضل العشر الأوائل من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما العمل في الأيام العشر أفضل من العمل في هذه. قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء". (صحيح البخاري).

فضل صيام يوم عرفة

عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة"

(صحيح مسلم).

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الحلقة (٩٤)

حجاب المرأة المسلمة (٣)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في الحلقة السابقة بدأنا الكلام عن آيات الحجاب - حسب ترتيبها في المصحف - فبدأنا بقوله سبحانه وتعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (النور: ٣١)، فنقلنا أقوال كبار المفسرين بداية من القرن الثاني الهجري، وتوقفنا مع تفسير الطبري والمرويات التي ذكرها بأسانيدها، واكتفينا على ذكر الصحيح والحسن منها، ولم نذكر الضعيف.

وخلاصة ما ذكر في كتب التفسير حول قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها) ثلاثة أقوال:

١- إنها الثياب. ٢- إنها الوجه والكفان. ٣- إنها الثياب والوجه.

وأصحاب القول الأول يقولون بوجوب النقاب، وأصحاب القولين الآخرين يقولون باستحبابه.

ونستأنف البحث بإذن الله تعالى الآية الثانية (من آيات الحجاب)، وهي قوله تعالى: (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور: ٦٠).

أقوال القدامى المفسرين في الآية:

- تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ): «والقواعد من النساء»: يعني المرأة الكبيرة التي لا تحيض من الكبر، اللاتي لا يرجون نكاحًا أي تزويجًا، فليس عليهن جناح: أي حرج، «أن يضعن ثيابهن»، في قراءة ابن مسعود: من ثيابهن: وهو الجلباب الذي يكون فوق الخمار، «غير متبرجات بزينة»: لا تريد بوضع الجلباب أن تُرى زينتها، يعني الحلي، أن يستعففن ولا يضعن الجلباب خير لهن من وضع الجلباب. (تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٨/٣).

- تفسير ابن وهب (ت ١٩٧هـ): «والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا»: قال: التي إذا رأيتها استقذرتها، فلا بأس أن تضع الخمار والجلباب، وأن تراها (تفسير القرآن من الجامع لابن وهب).

- تفسير يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ) ذكر بسنده عن قتادة قال: «القواعد من النساء»، التي لا تحيض



ولا تحدث نفسها بالأزواج، رخَّص لها أن تضع جلبابها. وذكر بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: تضع الجلباب. وعن سليمان بن يسار: تضع الخمار إن شاءت. (انظر تفسير يحيى بن سلام ١/٤٦١).

- تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ): فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعهن ثيابهن، يعني جلابيبهن، وهي القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب.

ثم نقل بأسانيده عن ابن عباس رضي الله عنهما-عن الآية-: لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب، ما لم تتبرج لما يكره الله.

- وعن الضحاك: يضعن ثيابهن: يعنى الجلباب، وهو القناع، وعن ابن جريج: قال جلابيبهن وعن ابن زيد، قال عن (ثيابهن): قال وضع الخمار، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الجلباب أو الرداء، وفي رواية: الرداء، وفي رواية: الملحفة، وفي رواية الجلباب.

وعن سعيد بن جبير: قال هو الرداء، وعن الشعبي: قال: الجلباب وعن مجاهد، قال: جلابيبهن.. فما نقله الطبري عن معنى وضع الثياب دائر بين الجلباب (القناع) والرداء والخمار والملحفة.

وسأقف مع معنى القناع، لأن البعض قال: إن القناع هو النقاب (غطاء الوجه) لغة: فما معنى القناع؟: قناع المرأة: ما تديره برأسها. (انظر مقاييس اللغة: ٥/٣٣)، وهو أوسع من المقنعة، وقد تقنعت به، وقنعت رأسها. (انظر المحكم ١/٢٢٨).

المقنعة: ما تقنع به المرأة رأسها. (شمس العلوم ٨/٥٦٣٩).

وفي النهاية قال عن: رجل مقنع بالحديد: هو الذي على رأسه بيضة، وهي الخوذة، لأن الرأس موضع القناع. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر٤/١١٤).

وفي لسان العرب: المقنع والمقنعة ما تغطى به المرأة رأسها.. والقناع أوسع من المقنعة، وقد تقنعت به وقنعت رأسها وقنعتها: ألبستها القناع فتقنعت به. والقناع والمقنعة: ما تتقنع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها. قال الأزهري: ولا فرق عند الثقات من أهل اللغة بين القناع والمقنعة. (انظر لسان العرب مادة قنع ٨/٣٠٠-٣٠١).

- تفسير الزجاج (ت ٣١١هـ)، قال عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن يضعن الملحفة والرداء. (تفسير الزجاج ٤/٥٣).

- (تفسير ابن أبي حاتم ت ٣٢٧هـ) ذكر بأسانيده عن ابن مسعود عن قوله تعالى: (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) قال: الجلباب أو الرداء، وعن ابن عباس وابن عمر في إحدى الروايات وسليمان بن يسار في إحدى الروايات وسعيد بن جبير وجابر بن زيد وابراهيم النخعي ومجاهد: إنه الجلباب، وعن مقاتل بن حيان والحسن وقتادة والزهري والأوزاعي: الخمار، وعن عكرمة قال: يضعن الجلباب والخمار، وكذلك عن ابن عمر وسليمان بن يسار.

وفي قوله تعالى: «غير متبرجات بزينة»: عن الحسن وقتادة، قال: غير متبرجات بزينة: باديات عن النحر ونحو ذلك، وعن سعيد بن جبير، لا تتبرجن بوضع الجلباب أن يرى ما عليها من الزينة. وكذلك عن مقاتل ابن حيان. (انظر: تفسير ابن أبى حاتم ٨/٢٦٣٩-٢٦٤٢).



- (تفسير الماتريدي، ت ٣٣٣هـ) أن يضعن ثيابهن: الرداء، وقال بعضهم هو الجلباب، يقال الجلباب: هو القناع

الذي يكون فوق الخمار، فلا بأس أن تضع ذلك عند أجنبي وغيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق. (انظر: تفسير الماتريدي ٥٩٣/٧).

- (تفسير الماوردي ت ٤٥٠هـ): أن يضعن ثيابهن، فيه قولان: أحدهما: جلبابها وهو الرداء الذي فوق الخمار فتضعه عنها إذا سترها باقي ثيابها، قاله ابن مسعود وابن جبير، الثاني: خمارها ورداؤها، قاله جابر ابن زيد، ثم قال: وإنما خصَّ القواعد بوضع الجلباب لانصراف النفوس عنهن، ما لم يبدو شيء من عوراتهن. والشابات المشتهيات يمنعن من وضع الجلباب أو الخمار ويؤمرن بلبس أكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن (انظر تفسير الماوردي ١٢١/٤-١٢٢).

- (تفسير القرطبي ت ٦٧١هـ): والعرب تقول امرأة واضع، للتي كبرت فوضعت خمارها، ونقل عن ابن مسعود وابن عباس: أنه الجلباب، وقال قوم: الكبيرة التي أيست من النكاح، لو بدا شعرها فلا بأس، فعلى هذا يجوز لها وضع الخمار، ثم قال: والصحيح أنها (القواعد)، كالشابة في التستر، إلا أن الكبيرة تضع الجلباب الذي يكون فوق الدرع والخمار. (انظر تفسير القرطبي ٣٠٨/١٢-٣٠٩).

وكذلك نقل ابن كثير أنه الجلباب أو الرداء. (انظر: تفسير ابن كثير ٨٣/٦-٨٤).

فخلاصة ما ذُكر في كتب التفسير عن قوله تعالى:(والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة)، أن تفسير الثياب يدور بين الجلباب، والرداء، والقناع والخمار، والملحفة.

وما رأيت أن أحدهم فسَّر الثياب بالنقاب - فيما أعلم -، والذي قال: إن القناع هو النقاب، فقد رددنا عليه في النقل من كتب اللغة.

وعلى العموم فالآية ليست نصًا في وجوب النقاب أو عدم وجوبه، وإنما هي تتكلم عن ملابس العجائز الكبيرات في السن، ولكن يستنبط منها عن طريق القياس بنهي المرأة الشابة عن التبرج مما يصلح أن يكون دليلاً للحجاب على عمومه، وليس على النقاب بخصوصه، والله أعلم.

الآية الثالثة (من آيات الحجاب):

قوله تعالى: (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا) (الأحزاب: ٣٢، ٣٣).

وموضع البحث في الآيات سيكون في مسألتين:

الأولى: هل الخطاب لأمهات المؤمنين خطاب لعموم النساء.

الثانية: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى.

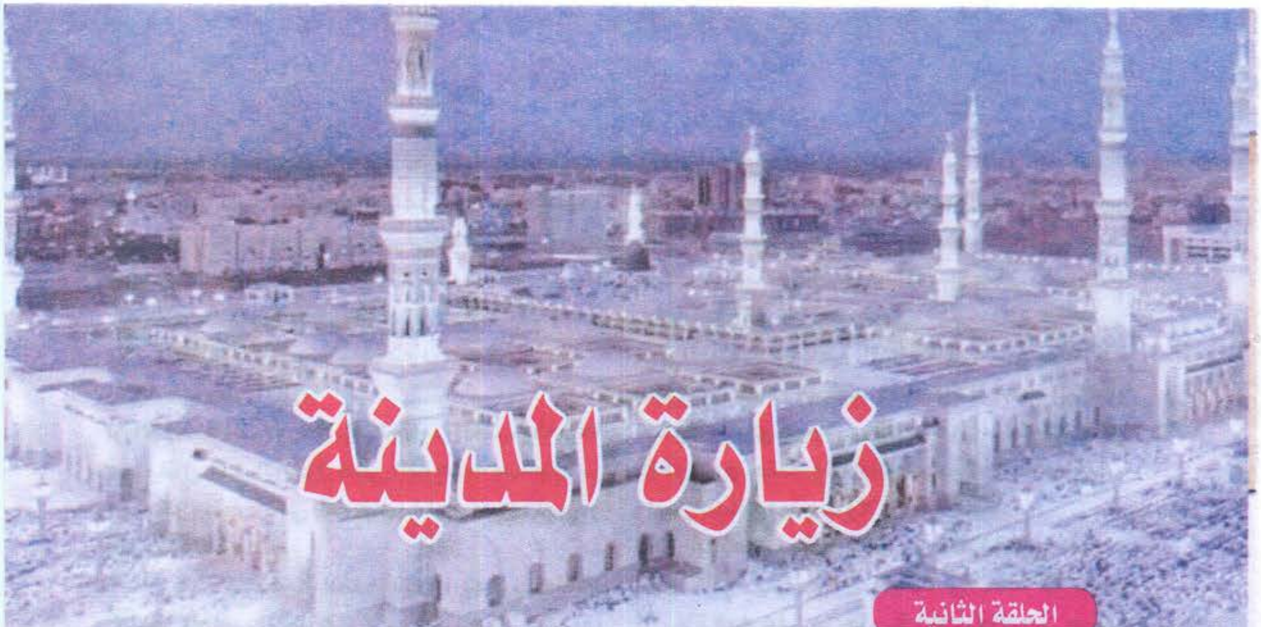
أولا: هل الخطاب في الآيات لأمهات المؤمنين فقط أم هو لعموم النساء؟ لا شك أن سياق الآيات وسباقها ولحاقها، يدل على أن الآيات تخص أمهات المؤمنين، اللاتي لهن أحكام خاصة من مضاعفة المثوبة ومضاعفة العقوبة (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء)، فهل الأوامر والنواهي التي في الآيات متعلقة بأمهات المؤمنين فقط، أم يدخل فيها عموم النساء؟ هذا فيه نزاع؛ فمن قائل أن الآيات مقصورة على أمهات المؤمنين، ومن قال: إنها لعموم النساء.

والراجح - والله أعلم - أن هناك في الآيات أحكامًا خاصة بأمهات المؤمنين لا تتعداهن إلى غيرهن، وأن هناك أحكامًا يدخل فيها عموم النساء بدلالتين، الأولى: ورود نصوص أخرى بها، والثانية: قياس الأولى.

وهذا سنكمله إن شاء الله في الحلقة القادمة.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.





زيارة المدينة

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تحدثنا في العدد السابق عن زيارة المدينة المنورة، وذكرنا بعض فضائلها، وكذلك حكم زيارة مسجد رسول الله، وفضائل هذا المسجد المبارك، ونتناول في هذا العدد آداب زيارة المسجد النبوي، وبعض الأماكن الأخرى التي يُسَنُّ زيارتها لمن كان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إعداد/ د. حمدي طه

أولاً: آداب زيارة المسجد النبوي:

إذا وصل الإنسان إلى المسجد النبوي فيُسَن له فعل ما يُفعل عند دخول سائر المساجد، فيستحب تقديم الرجل اليمنى عند الدخول ويقول: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، اللهم افتح لي أبواب رحمتك».

وإذا خرج قال مثل ذلك، وقال: وافتح لي أبواب فضلك؛ لما روي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمها أن تقول ذلك إذا دخلت المسجد. (المغني لابن قدامة ٣/٥٩٩).

فإذا دخل المسجد يصلي ركعتين تحية المسجد لعموم الأوامر، ويستحب أن يصليها في الروضة؛ لحديث عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» رواه البخاري.

ويستوي في ذلك الرجال والنساء فإذا انتهى من صلاته وأدى الفريضة ذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف أمام القبر مستقبلاً له ويقول بأدب وخفض صوت: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ لحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام» (مسند أحمد بن حنبل، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٢٦٦).

قال أحمد في رواية عبد الله عن يزيد بن قسيط عن أبي هريرة مرفوعًا: ما من أحد يسلم عليَّ عند قبري» فهذه الزيادة مقتضاها التخصيص. (المبدع في شرح المقنع لابن مفلح الحنبلي ٣/٢٥٩).

ومع أنه ليس في لفظ الحديث جملة (عند قبري)، لكن عرف الفقهاء أنَّ هذا هو المراد، وأنه لم يرد على كل مُسلِّم عليه في كل مكان.

وبعد السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم يتحول قليلاً إلى اليمين ليقف أمام قبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيسلم عليه ويدعو له ويترضى عنه. ثم يتحول إلى اليمين قليلاً

ويسلم على عمر رضي الله عنه ويدعو له.
وأصح ما ورد في ذلك أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سلم على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما لا يزيد على قوله: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه» ثم ينصرف.
وأنبه هنا على أمور:
أن الأدعية التي وردت في كثير من الكتب ونحوها مما يقال عند الرسول صلى الله عليه وسلم وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم يرد بها نص أو أثر عن الصحابة.
٢- أن هذه الأدعية إنما اختارها بعض العلماء تعليمًا للعامي الذي قد لا يستطيع قول شيء، وعليه فلا يوجد شيء محدد في هذا فيستطيع الزائر أن يقول ما شاء مسترشدًا بما ذكره العلماء.
٣- أنه لا تثريب على من أتى بهذه الأدعية، ولكن لا يعتقد القائل لها سنيتها بمعنى أنه لا يعتقد ورود هذه الأدعية في السنة (انظر: زيارة المدينة النبوية لفهد عبدالله محمد الحبيشي، بتصرف).

ثانيًا: زيارة مسجد قباء:

مسجد قباء هو أول مسجد بني بالمدينة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة فنزل بقباء، قال عمار بن ياسر: «ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكانًا يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء، فهو أول مسجد بني» يعني بالمدينة، وهو في التحقيق أول مسجد صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه بأصحابه جماعة ظاهرًا، وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة. (انظر فتح الباري لابن حجر ٢٤٥/٧).
ويستحب لمن كان بالمدينة زيارة مسجد قباء، وأن يصلي ركعتين فيه؛ لما ورد من حديث عبدالله بن عمر قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور مسجد قباء راكبا وماشيًا، ويصلي فيه ركعتين» متفق عليه.
واستحب أهل العلم أن تكون الزيارة يوم السبت لما ورد عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزُورُهُ رَاكِبًا وَمَاشِيًا» (رواه البخاري).
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يفعله. رواه البخاري.
قال العلامة ابن عبد البر المالكي: عن مالك أنه سئل عن إتيان مسجد قباء راكبًا أحب إليك أو ماشيًا، وفي أي يوم ترى ذلك؟ قال مالك: لا أبالي في أي يوم جئت، ولا أبالي مشيت إليه أو ركبت، وليس إتيانه بواجب ولا أرى به بأسًا.
قال أبو عمر: وقد جاء عن طائفة من العلماء أنهم كانوا يستحبون إتيانه وقصده في سبت للصلاة فيه على ما جاء في ذلك، قال ابن حجر: «وفي هذا الحديث على اختلاف طرقه دلالة على جواز تخصيص بعض الأيام ببعض الأعمال الصالحة والمداومة على ذلك». فتح الباري ٦٩/٣.
وعلى هذا فلا مانع من إتيان المسجد يوم السبت لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهذا مستند من استحب الإتيان يوم السبت وهو دليل قوي في محل النزاع، فليس الأمر بدعة كما ظنه البعض.
وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة في هذا المسجد كما في حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة» (رواه النسائي وصححه الألباني).
قال العلامة الشنقيطي: ووجه الدلالة أن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت الفضل لمسجد قباء، وأما الصلاة فيه فمطلقة، سواءٌ أكانت نافلة أم فريضة، وأما رواية: (فصلى فيه ركعتين) فضعيفة، لكن الرواية القوية: (فصلى فيه) بإطلاق، ولذلك لو صلى فيه فريضة أو نافلة، فإنه ينال أجر العمرة. (شرح زاد المستقنع ٩٨/٣).
وقوله صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء»، تنبيه على أنه لا يشرع قصده بشد الرحال بل إنما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه، ثم يأتيه فيقصده كما يقصد الرجل مسجد مصره، قال العلامة الألباني: «وأما السفر إلى بقعة غير

المساجد الثلاثة فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليها إذا نذره، حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من الثلاثة مع أنه يستحب زيارته لمن كان بالمدينة؛ لأن ذلك ليس بشد رحل. قالوا: ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة. (الثمر المستطاب - ٥٦٣/١).

ثالثاً: زيارة البقيع:

وهو يطلق علي المكان الذي دُفِنَ فيه كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وهو يقع على مقربة من قبر النبي صلى الله عليه وسلم خارج المسجد النبوي الشريف.

ويسن زيارة قبور البقيع وقبور الشهداء وقبر حمزة رضي الله عنه: للأحاديث التي وردت بوجه عام بزيارة القبور؛ لأنها تذكر الآخرة كما في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإن فيها عبرة...». الحديث رواه أحمد وصححه شعيب الأرناءوط قال: وهذا إسناد حسن، ولما ثبت في أكثر من حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزورهم، ويدعو لهم.

ويقول من يدخل إلى البقيع ما يسن قوله عند دخول المقابر: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» أخرجه مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالزيارة الشرعية: السلام على الميت، والدعاء له، بمنزلة الصلاة على جنازته، كما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلِّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: (السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم، والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم)، وهذا الدعاء يُروى بعضه في بعض الأحاديث، وهو مروي بعدة ألفاظ. كما رويت ألفاظ التشهد وغيره، وهذه الزيارة هي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها إذا خرج لزيارة قبور أهل البقيع» (مجموع الفتاوى ٤٢/٣).

ولا بأس أن يزور قبور الشهداء بأُحد؛ إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج لزيارتهم في قبورهم ويسلم عليهم. وبهذه الزيارة لشهداء أحد يمكنه مشاهدة جبل أحد الجبلِ الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (أُحُد جبل يحبنا ونحبه).

رابعاً: زيارة بعض الأماكن الأخرى بالمدينة:

الأماكن التي ذكرناه من قبل هي التي قال العلماء باستحباب زيارتها لمن كان بالمدينة المنورة، أما غيرها من المزارات التي يعتقد البعض بسنيتها، وأن لها فضل فلا يصح في ذلك شيء مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ويري العلامة محمد بن عثيمين: أنه ليس هناك شيء يزار في المدينة سوى هذه: زيارة المسجد النبوي، زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبري صاحبيه، زيارة البقيع، زيارة شهداء أحد، زيارة مسجد قباء، فهذه خمسة أماكن في المدينة، وما عدا ذلك من المزارات فإنه لا أصل له ولا يشرع الذهاب إليه. (فتاوى نور على الدرب).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بعد أن ذكر المواضع التي يشرع زيارتها في المدينة: (أما المساجد السبعة ومسجد القبلتين وغيرها من المواضع التي يذكر بعض المؤلفين في المناسك زيارتها؛ فلا أصل لذلك، ولا دليل عليه، والمشروع للمؤمن دائمًا هو الاتباع دون الابتداع).

والصواب أن زيارة هذه المواضع إن كانت للتعرف والتفكر فجائزة لا بأس فيها، وأما إن كانت على جهة السنية فبدعة لا تجوز، أما إذا رافقها بدع أخرى كالتبرك والتمسح بها؛ فالأمر أشد.

وهناك بدع ومخالفات نبّه عليها أهل العلم لم نذكرها خشية الإطالة. نسأل الله أن يتقبل حج من ذهب إلى تلك البقاع الطاهرة، وأن ينفع بما كتبناه،

والحمد لله رب العالمين.

باب العقيدة

أقوال وأفعال تُنافي التوحيد أو تُنقِصُه

الحلقة الثانية عشرة

إعداد/ د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: في هذا المقال نتناول بعض الأقوال والأفعال التي تنافي العقيدة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١- ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما:

المراد بالغيب: ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلة والماضية وما لا يرونه، وقد اختص الله تعالى بعلمه، وقال تعالى: «قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» (النمل: ٦٥).

فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، وحده، وقد يُطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: «عَٰلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ» (الجن: ٢٦، ٢٧).

أي: لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته، فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يُستدل على نبوته بالمعجزات؛ التي منها الإخبار عن الغيب؛ الذي يطلعه الله عليه، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ولا يطلع غيرهما لدليل الحصر. فمن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل غير من استثناه الله من رسله، فهو كاذب كافر؛ سواء ادعى ذلك بواسطة قراءة الكف أو الفنجان، أو الكهانة أو السحر أو التنجيم، أو غير ذلك، وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين؛ من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة، وعن أسباب بعض الأمراض، فيقولون: فلان عَملَ لكَ كذا وكذا فمرضتَ بسببه، وإنما هذا لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهم؛ عن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتلبيس، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: (والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين، يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يَخلطون الصِّدقَ بالكذب) إلى أن قال: (ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة فواكه وحلوى، وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع، ومنهم من يطير به الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما) انتهى.

وقد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كأوقات هُبوب الرياح ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وغير ذلك من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها. ويقولون: من تزوج بنجم كذا وكذا، حصل له كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا حصل له كذا، ومن وُلد بنجم كذا وكذا حصل له كذا؛ من السعود أو النحوس، كما يعلن في بعض المجلات الساقطة من الخزعبلات حول البروج؛ وما يجري فيها من الحظوظ.

وقد يذهب بعضُ الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين، فيسألهم عن مستقبل حياته، وما يجري عليه فيه، وعن زواجه وغير ذلك.

ومن ادَّعى علم الغيب أو صدَّق من يدَّعيه، فهو مشركٌ كافر؛ لأنه يدَّعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه، والنجوم مسخَّرة مخلوقة، ليس لها من الأمر شيء، ولا تدل على نحوس، ولا سعود، ولا موت، ولا حياة، وإنما هذا كله من أعمال الشياطين الذين يسترقون السمع.

٢- السحرُ والكهانةُ والعرافة:

كل هذه الأمور أعمال شيطانية مُحرَّمة تخل بالعقيدة أو تناقضها؛ لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية.

فالسحرُ عبارةٌ عما خفي ولَطُفَ سببُهُ؛ سُمِّي سِحرًا؛ لأنه يحصل بأمور خفية، لا تدرك بالأبصار، وهو: عزائم ورقى، وكلام يتكلم به، وأدوية وتدخينات، وله حقيقة. ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان فيُمرض ويقتُل ويفرق بين المرء وزوجه، وتأثيره بإذن الله الكوني القَدَرِيّ، وهو عمل شيطاني، وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب، والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها؛ ولهذا قرنه الشارع بالشرك، حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبعَ الموبقات) قالوا: وما هي؟ قال: (الإشراكُ بالله والسحر...) (رواه البخاري ومسلم) الحديث. فهو داخل في الشرك من ناحيتين:

الناحية الأولى: ما فيه من استخدام الشياطين، والتعلق بهم والتقرب إليهم بما يحبونه؛ ليقوموا بخدمة الساحر، فالسِّحرُ من تعليم الشياطين، قال تعالى: « وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ » (البقرة: ١٠٢).

الثانية: ما فيه من دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال، قال تعالى: « وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ » (البقرة: ١٠٢)، أي: نصيبٌ.

وإذا كان كذلك فلا شك أنه كفر وشرك؛ يناقض العقيدة، ويجبُ قتل متعاطيه، كما قتله جماعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم، وقد تساهل الناس في شأن الساحر والسِّحر، ورُبما عدوا ذلك فنًّا من الفنون؛ التي يفتخرون بها، ويمنحون أصحابها الجوائز والتشجيع، ويُقيمون النوادي والحفلات والمسابقات للسحرة، ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين، أو يسمونه بالسرك، وهذا من الجهل بالدين والتهاون بشأن العقيدة، وتمكين للعابثين.

والكهانة والعرافة هما ادعاء علم الغيب، ومعرفة الأمور الغائبة، كالأخبار بما سيقع في الأرض، وما سيحصل، وأين مكان الشيء المفقود؛ وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، كما قال تعالى: « هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ » (الشعراء: ٢٢١، ٢٢٣).

وذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة، فيلقيها في أذن الكاهن، ويكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة، فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة، التي سُمعت من السماء، والله عز وجل هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك، بكهانة أو غيرها، أو صدق من يدعي ذلك؛ فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه. والكهانة لا تخلو من الشرك؛ لأنها تَقَرُّبٌ إلى الشياطين بما يحبون؛ فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه، وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) (رواه أبو داود).

ومما يجب التنبيه عليه والتنبه له: أن السحرة والكهان والعرافين، يعبثون بعقائد الناس بحيث يظهرون بمظهر الأطباء، فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله؛ بأن يذبحوا خروفًا صفته كذا وكذا، أو دجاجة، أو يكتبون لهم الطلاسم الشركية، والتعاويذ الشيطانية بصفة حروز يعلقونها في رقابهم، أو يضعونها في صناديقهم، أو في بيوتهم.

والبعض الآخر يظهر بمظهر المخبر عن المغيبات، وأماكن الأشياء المفقودة؛ بحيث يأتيه الجهال فيسألونه عن الأشياء الضائعة، فيخبرهم بها أو يحضرها لهم، بواسطة عملائه من الشياطين. وبعضهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات أو بمظهر الفنان، كدخول النار ولا تؤثر فيه، وضرب نفسه بالسلاح، أو وضع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثر فيه، أو غير ذلك من الشعوذات التي هي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان، يجري على أيدي هؤلاء للفتنة. أو هي أمور تخيلية لا حقيقة لها؛ بل هي حيل خفية يتعاطونها أمام الأنظار، كعمل سحرة فرعون بالحبال والعصي.

قال شيخ الإسلام في مناظرته للسحرة البطائحية الأحمدية الرفاعية (قال: يعني شيخ البطائحية ورفع صوته: نحن لنا أحوال كذا وكذا، وادَّعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها). قال شيخ الإسلام: (فقلتُ ورفعتُ صوتي وغضبت: أنا أُخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها: أي شيء فعلوه في النار؟! فأنا أصنع مثل ما تصنعون، ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت: فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار، فسألني الأمراء والناس عن ذلك؛ فقلت: لأن لهم حيلاً في الاتصال بالنار، يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع، وقشر النارنج، وحجر الطلق، فضج الناس بذلك؛ فأخذ يظهر القدرة على ذلك، فقال: أنا وأنت نُلَفُّ في بارية بعد أن تُطلى جسومُنا بالكبريت. فقلت: فقُم، وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك، فمدَّ يده يظهر خلع القميص، فقُلتُ: لا، حتى تغتسل بالماء الحار والخل؛ فأظهر الوهم على عادتهم فقال: من كان يحبُّ الأمير فليحضر خشبًا- أو قال: حزمة حطب- فقلتُ: هذا تطويلٌ وتفريقٌ للجمع ولا يَحصلُ به مقصود؛ بل قنديل يوقد وأُدخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل، ومن احترقت أصبعه فعليه لعنة الله، أو قلت: فهو مغلوب، فلمَّا قلتُ ذلك تغير وذل) انتهى.

والمقصود منه بيان أن هؤلاء الدجالين يكذبون على الناس بمثل هذه الحيل الخفية، كجرهم السيارة بشعرة والقائه نفسه تحت عجلاتها وإدخال أسياخ الحديد في عينه، إلى غير ذلك من الشعوذات الشيطانية.

٣- تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات والقبور وتعظيمها:

لقد سد النبي صلى الله عليه وسلم كل الطرق المفضية إلى الشرك، وحذّر منها غاية التحذير، ومن ذلك: مسألة القبور، قد وضع الضوابط الواقية من عبادتها، والغلو في أصحابها، ومن ذلك:

١- أنه قد حذّر صلى الله عليه وسلم من الغلو في الأولياء والصالحين؛ لأن ذلك يؤدّي إلى عبادتهم، فقال: (إياكم والغُلُوَّ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغُلُوُّ) (رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه).

وقال: (لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسوله) (رواه البخاري).

٢- وحذر صلى الله عليه وسلم من البناء على القبور، كما روى أبو الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوَّيته) (رواه مسلم).

٣- ونهى عن تجصيصها والبناء عليها، عن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء) (رواه مسلم).

٤- وحذّر صلى الله عليه وسلم من الصلاة عند القبور، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما نُزِلَ برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: (لعنةُ الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذرُ ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتَّخذَ مسجدًا) (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك) (رواه مسلم في صحيحه).

واتخاذُها مساجد معناهُ: الصلاة عندها وإن لم يبن مسجد عليها؛ فكلُّ موضع قصد للصلاة فيه فقد اتُّخذَ مسجدًا، كما قال صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا) (رواه البخاري) فإذا بني عليها مسجد فالأمر أشد.

وقد خالف أكثر الناس هذه النواهي، وارتكبوا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، فوقعوا بسبب ذلك في الشرك الأكبر؛ فبنوا على القبور مساجد وأضرحة ومقامات، وجعلوها مزارات تمارس عندها كل أنواع الشرك الأكبر، من الذبح لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وصرف النذور لهم، وغير ذلك.

نسأل الله السلامة والعافية، وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

إدارة الغضب بين التقييم والتقويم

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. ياسر لمعي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تناولنا في المقال السابق النوع الأول من الغضب وهو المحمود من أصحاب الفطرة السليمة والمطلوب شرعًا والمتعبَد به؛ وهو ما كان لله تعالى، وهذا من الإيمان أو من أعمال الإيمان، والتكاسل عنه أو التغافل عنه نقصان في الإيمان، بحيث يغضب المرء ويغتاظ عند ما تنتهك حرمات الله، كذلك مطلوب أن يغضب العبد على أعداء الله؛ من الكفَّار، والمنافقين، والطُّغاة، والمتجبِّرين بالضوابط الشرعية.

ثانيا: الغضب المذموم:

هو الذي نُهي عنه وذُمَّ في الأحاديث التي وردت وهو خلق سيئ؛ (لأنه يُخرج العقل والدين من سياستهما، فلا يَبقى للإنسان مع ذلك نظرٌ، ولا فكرٌ، ولا اختيار). (مختصر منهاج القاصدين- ابن قدامة المقدسي ٢٣٢).

وهو ما كان في سبيل الباطل والشيطان كالحمية الجاهلية؛ وهو ما كان وَفْق هوى الإنسان، بتزيين من الشيطان؛ وهو ما كان باعثُه الكبر، وثمرته العدوان على البشَر، وذلك من أفعال أهل الجاهليَّة عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني قال: «لا تغضب»، فردد مراراً، قال: «لا تغضب». (رواه البخاري (٦١١٦)).

قال الخطابي: (معنى قوله: «لا تغضب». اجتنب أسباب الغَضَب، ولا تتعرَّض لما يجلبه. (جامع العلوم والحكم- ابن رجب الحنبلي ١٠/٥٢٦).

وقال ابن التين: (جمع صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا تغضب». خيري الدنيا والآخرة؛ لأنَّ الغَضَب يفضي إلى التقاطع، ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه، فينتقص ذلك من الدين. (جامع العلوم والحكم- ابن رجب الحنبلي ١٠/٥٢٦).

وقال البيضاوي: (لعله لما رأى أنَّ جميع المفاسد التي تعرض للإنسان إنما هي من شهوته، ومن غضبه، وكانت شهوة السائل مكسورة، فلما سأل عما يحترز به عن القبائح نهاه عن الغَضَب، الذي هو أعظم ضرراً من غيره، وأنَّه إذا ملك نفسه عند حصوله، كان قد قهر أقوى أعدائه).

- عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فأنسى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تغضب» (المرجع السابق).

قال الباجي في المنتقى: (قول السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علمني كلمات أعيش بهن. يحتمل أن يريد به أنتفع بها مدة عيشي، ويحتمل أن يريد به- والله أعلم- أستعين بها على عيشي. ولا تُكثر علي فأنسى.. لعله عرف من

نفسه قلة الحفظ، فأراد الاختصار الذي يحفظه ولا ينساه، فجمع له النَّبي صلى الله عليه وسلم الخير في لفظ واحد، فقال له: «لا تغضب»، ومعنى ذلك- والله أعلم- أنَّ الغضَب يفسد كثيراً من الدين؛ لأنَّه يؤدي إلى أن يُؤذي ويُؤذَى، وأن يأتي في وقت غضبه من القول والفعل ما يأثم به، ويُؤثِم غيره، ويؤدي الغَضَب إلى البغضة التي قلنا إنها الحالقة، كما أن الغَضَب أيضاً يمنعه كثيراً من منافع دنياه، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تغضب»، يريد- والله أعلم- لا تَمضِ ما يبعثك عليه غضبك، وامتنع منه، وكفَّ عنه. (المنتقى شرح الموطأ- سليمان الباجي ٢١٤/٧).

وقال ابن رجب في شرحه للحديث: (فهذا الرَّجلُ طلب من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنْ يُوصيه وصيةً وجيزةً، جامعةً لخصال الخير ليحفظها عنه خشيةَ أنْ لا يحفظها لكثرتها، فوصَّاه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ لا يغضب، ثم ردَّد هذه المسألة عليه مراراً، والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يردِّدُ عليه هذا الجوابَ، فهذا يدلُّ على أنَّ الغَضَب جماعُ الشرِّ، وأنَّ التحرُّز منه جماعُ الخير). (جامع العلوم والحكم- ابن رجب الحنبلي ٣٦٢/١).

- وعن سليمان بن صرد قال: استبَّ رجلان عند النَّبي صلى الله عليه وسلم، ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسبُّ صاحبه مغضباً قد احمرَّ وجهُه، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنِّي لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقالوا للرَّجل: ألا تسمع ما يقول النَّبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: «إني لست بمجنون». (أخرجه البخاري (٦١١٥)).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الشَّديد بالصُّرَعة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغَضَب». (أخرجه البخاري (٦١١٤)).

قال ابن بطال: (أراد صلى الله عليه وسلم أن الذي يقوى على ملك نفسه عند الغضب ويردها عنه هو القوي الشديد، والنهاية في الشدة لغلبته هواه المُردي الذي زينه له الشيطان المُغوي، فدل هذا أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للذي يملك نفسه عند الغضب من القوة والشدة ما ليس للذي يغلب الناس ويصرعهم). وقال عمرُ بنُ عبدالعزيز: (قد أفلحَ مَنْ عُصِمَ من الهوى، والغَضَب، والطمع) (شرح صحيح البخاري- ابن بطال، ٢٩٦/٩).

وقال جعفر بنُ محمد: الغَضَبُ مفتاحُ كلِّ شرٍّ.

وقال عطاءُ بنُ أبي رباح: (ما أبكى العلماءَ بكاء آخر العمر من غضبة يغضبُها أحدُهُم، فتهدمُ عملَ خمسين سنة، أو ستين سنة، أو سبعين سنة، وربَّ غضبة قد أقحمت صاحبها مقحماً ما استقاله) (جامع العلوم والحكم- ابن رجب الحنبلي ٣٦٣/١).

وقال أبو حاتم في روضة العقلاء: (الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد ما تهواه نفسه، أن يذكر كثرة عصيانه ربه، وتواتر حلم الله عنه، ثم يسكن غضبه، ولا يزري بفعله الخروج إلى ما لا يليق بالعقلاء في أحوالهم، ثم تأمَّل وفور الثواب في العقبى، بالاحتمال ونفي الغَضَب). (روضة العقلاء- ابن حبان البستي ١٣٩).

كذلك توجد بيننا مع الأسف شريحة من المسلمين يغضبون إذا سمعوا كلمة شرع الله، أو الأحكام الشرعية، أو انتشار حلق تحفيظ القرآن الكريم، ويتهموننا بالرجعية، ومعاداة الدعوة وأهلها، مع دفاعهم عن المنكرات، ويظهر ذلك جليًا في كتابة بعض كُتَّاب الصحف والإعلاميين فتجد أحدهم يغضب بسبب ظهور محجبات، أو أصحاب لحى في أماكنهم، ولا همَّ له سوى مسايرة العصر!! سواء وافق الشرع المطهر أو خالفه، فالحق عندهم ما وافق هواهم، والباطل ما حدَّ من مبتغاهم قال تعالى: «وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ» (النور: ٤٨- ٥٢).

الخلاصة:

أن صاحب هذا الغضب مذموم في الشرع الحكيم، هذا صاحب النفس الخبيثة، صاحب النفس العنيفة، ناره تأجَّجت، واضطرمت، واحتد منها غليان الدم في القلب، وملأت الشَّرايين والدماغ دخاناً مظلماً مضطرماً، يسود منه مجال العقل، ويضعف به فعله، فكما أن الكهف الضيق إذا ملئ حريقاً اختنق فيه الدخان، واللهب، وعلا منه الأجيج، فيصعب علاجه وإطفاؤه، ويستحيل كل ما يدنو منه إلى مادة تقويه- وإذا اشتعلت هذه النفس غضباً عميت عن الرشد وتنكبت طريق الاستقامة.

ثالثا: الغضب المباح:

وهو الغضب الفطري ما كان في غير معصية الله- تعالى- ولم يتجاوز حده كأن يجهل عليه أحد بالسب، أو الشتم، أو الاعتداء، وكظمه هنا خير وأبقى قال تعالى: « ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ »(آل عمران: ١٣٤) ومما يُذكر هنا أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عزوجل يقول: (والكاظمين الغيظ) فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت (والعافين عن الناس) فقال لها: قد عفا الله عنك. قالت: (والله يحب المحسنين) قال: اذهبي فأنت حرة.(أخرجه البيهقي في الشعب (٨٣١٧)).

غضب مباح كغضب الرجل من زوجته إذا عصت أمره، ما لم يكن أمراً حراماً، كتأخير طعام، أو فعل محظور بينهما، فله أن يغضب دون ظلمٍ أو تعدٍّ، أو كغضب الأستاذ من التلميذ إن أخلف ظنه بإجابته مثلاً، أو غضب الصاحب من صاحبه إن تأخر عليه، وما شابه ذلك من مواقف كثيراً ما تمر على الإنسان.

وقال نوح بن حبيب: كنت عند ابن المبارك فألحوا عليه. فقال: هاتوا كتبكم حتى أقرأ. فجعلوا يرمون إليه الكتب من قريب ومن بعيد، وكان رجل من أهل الريّ يسمع كتاب الاستئذان فرمى بكتابه، فأصاب صلعة ابن المبارك حرفُ كتابه فانشق وسال الدم، فجعل ابن المبارك يعالج الدم حتى سكن ثم قال: سبحان الله كاد يكون قتال، ثم بدأ بكتاب الرجل فقرأه. (أخرجه البيهقي في الشعب (٨٣٢٠)).

والخلاصة فيه ما قاله: ابن حبان- رحمه الله تعالى- «والخلق مجبولون على الغضب، والحلم معاً، فمن غضب وحلم في نفس الغضب فإن ذلك ليس بمذموم ما لم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل، على أن مفارقته في الأحوال كلها أحمد» ا.هـ (روضة العقلاء – ابن حبان ١٤١).

درجات الناس في قوة الغضب:

الأولى: التفريط: ويكون ذلك بفقد قوة الغضب بالكلية، أو بضعفها، وهذا قد يكون مبعثه التربية، والمحاكاة العائلية، والبيئة المحيطة وروافدها.

الثانية: الإفراط: ويكون بغلبة هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل، والدين، ولا تبقى للمرء معها بصيرة ونظر، ولا فكرة ولا اختيار، وهؤلاء في غالبهم ليس لهم دين يمنعهم، ولا مرجع يزجرهم، ولا خلق يُوقفهم، ويكثر هذا الصنف في الأسواق ومراتع الاختلاط.

الثالثة: الاعتدال: وهو المحمود، وذلك بأن ينتظر إشارة العقل بأن هناك ديناً يُحرِّم ويجرِّم، دين يقتص ويحكم، وفوق ذلك ومعه هناك رب رقيب مطلع. (إحياء علوم الدين- للغزالي ١٧٩/٣ بتصرف).

الخلاصة: إذا أنت علمت من أي الأصناف أنت، وعلى أي درجة من قوة الغضب وجب عليك تقييم غضبك، وتقويم نفسك، وضبط سلوكك، وتهذيب أخلاقك وفق شرع الله خالقك، واعلم أن ما يمكن قياسه يمكن تقييمه وتقويمه.

هذا ما تيسر ذكره في الباب، والله أسأل أن يحفظكم بحفظه، وأن يبارك فيكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، نلتقي الشهر القادم إن شاء الله مع بواعث الغضب.

هذا، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخطاء الآباء في تربية الأبناء

عاشرًا: شدة التقتير عليهم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتابع في هذا العدد الحديث عن أخطاء الآباء والأمهات والمعلمين والمربين في تربية النشء، فنقول وبالله التوفيق:

تربية الأبناء مسئولية الآباء والأمهات والمعلمين وكل مُرَبٍّ، وكثيرًا ما يهملونها، مستسهلين الإهمال فيها، لعدم ظهور آثار ذلك مبكرًا، فإذا جاء الموعد، وحان وقت القطاف، جاءت الثمرة مرة حنظلية، فبدأ الآباء يشتكون بل يصرخون مما آل إليه أمر أبنائهم، ناسين أو متناسين أنهم كانوا السبب الرئيس وراء تلك المرارة، قصدوا أو لم يقصدوا، وهذا بلا شك خلل في التربية.

إعداد/ جمال عبد الرحمن

ولقد أمر المولى العليم الحكيم بتدارك هذا الخلل بتعاهد الطفل بالتربية منذ نعومة أظفاره، فقال جل شأنه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم: ٦)، وقد تحدثنا فيما مضى عن:

أولاً: القسوة والغلظة والفظاظة. ثانيًا: التدليل الزائد والتمييع. ثالثًا: عدم الثبات في المعاملة. رابعًا: عدم العدل بين الإخوة. خامسًا: اختلاف الوالدين في تربية الأبناء. سادسًا: الافتتان بالأولاد والإعجاب الزائد بهم. سابعًا: تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والفزع. ثامنًا: تربية الأولاد على سلاطة اللسان والجرأة المنافية للحياء، واعتبار ذلك شجاعة. تاسعًا: تعويد الأولاد على الترف والبذخ.

وهذه المرة إن شاء المولى عز وجل نتناول الخطأ التربوي التالي:

عاشرًا: ضرر الإسراف والتقتير على الأولاد

التوسط ممدوحٌ بكل لغة، موسومٌ بكمال الحكمة. وقيل: دين الله بيْنَ المقصر والغالي. وقيل: خير الأمور أوساطها. وقال عز وجل: «ولا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا». وقال الله جل ثناؤه، عن عبادِ الرحمن الصالحين: « وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا »(الفرقان: ٦٧).

قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: «والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا» في إنفاقها. ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عناها الله في هذا الموضع، وما الإسراف فيها والإقتار. فقال بعضهم: الإسراف ما كان من نفقة في معصية الله وإن قلَّت: قال: وإياها عني الله، وسماها إسرافا. قالوا: والإقتار: المنع من حقّ الله. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قوله: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) قال: هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله، ولا يُقترون فيمنعون حقوق الله تعالى. تفسير

وقال آخرون: السرف: المجاوزة في النفقة الحدّ، والإقتار: التقصير عن الذي لا بدّ منه.

قال وهيب بن الورد: لقي عالمٌ عالمًا هو فوقه في العلم، فقال: يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لا إسراف فيه ما هو؟ قال: هو ما سترك من الشمس، وأكنّك من المطر، قال: يرحمك الله، فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما سدّ الجوع ودون الشبع، قال: يرحمك الله، فأخبرني عن هذا اللباس الذي لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما ستر عورتك، وأدفأك من البرد.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدّ الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك.

فإن قال قائل: فهل لذلك من حدّ معروف تبينه لنا؟ قيل: نعم ذلك مفهوم في كلّ شيء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البر وغير ذلك،... نحو أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه، وينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه، وأداء فرائضه؛ فذلك من السرف، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه؛ فذلك من الإقتار وبين ذلك القوام،... فأما اتخاذ الثوب للجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس، وحضوره المحافل والجمع والأعياد دون ثوب مهنته، أو أكله من الطعام ما قوّاه على عبادة ربه، مما ارتفع عما قد يسدّ الجوع، مما هو دونه من الأغذية، غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته، فذلك خارج عن معنى الإسراف، بل ذلك من القوام، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك، وحض على بعضه، كقوله: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اتَّخَذَ ثَوْبَيْنِ: ثَوْبًا لِمِهْنَتِهِ، وَثَوْبًا لِجُمُعَتِهِ وَعِيدِهِ»، وكقوله: «إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَهَا عَلَيْهِ» وما أشبه ذلك من الأخبار التي قد بيّناها في مواضعها. وأما قوله: (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) فإنه النفقة بالعدل والمعروف.

عن عمر مولى غُفْرة، قال: قلت له: ما القوام؟ قال: القوام: أن لا تنفق في غير حقّ، ولا تمسك عن حق هو عليك. والقوام في كلام العرب، بفتح القاف، وهو الشيء بين الشيئين. تقول للمرأة المعتدلة الخلق: إنها لحسنة القوام في اعتدالها. (تفسير الطبري (١٩/٢٩٨-٣٠١) باختصار).

وقال القرطبي: وَإِنَّمَا التَّأْدِيبُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ فِي نَفَقَةِ الطَّاعَاتِ فِي الْمُبَاحَاتِ، فَأَدَبُ الشَّرْعِ فِيهَا أَلَّا يُفْرِطَ الْإِنْسَانُ حَتَّى يُضَيِّعَ حَقًّا آخَرَ أَوْ عِيَالًا وَنَحْوَ هَذَا، وَأَلَّا يُضَيِّقَ أَيْضًا وَيَقْتُرَ حَتَّى يُجِيعَ الْعِيَالَ وَيُفْرِطَ فِي الشُّحِّ، وَالْحَسَنُ فِي ذَلِكَ هُوَ الْقَوَامُ، أَيِ الْعَدْلُ، وَالْقَوَامُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ عِيَالِهِ وَحَالِهِ، وَخِفَّةِ ظَهْرِهِ وَصَبْرِهِ وَجَلَدِهِ عَلَى الْكَسْبِ، أَوْ ضِدِّ هَذِهِ الْخِصَالِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا، وَلِهَذَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر الصديق يَتَصَدَّقُ بِجميع مالِه، لأنَّ ذلكَ وسطٌ بِنسْبَةِ جلده وصَبْره في الدين، وَمَنَعَ غَيْرَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَنِعْمَ مَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يُجِيعُ وَلَا يُعْرِي وَلَا يُنْفِقُ نَفَقَةً يَقُولُ النَّاسُ قَدْ أَسْرَفَ. وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ لِجَمالٍ، وَلَا يَأْكُلُونَ طعامًا للذّة. وَقَالَ يَزِيدُ أيضًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ طَعَامًا لِلتَّنَعُّمِ وَاللَّذَّةِ، وَلَا يَلْبَسُونَ ثِيَابًا لِلْجَمَالِ، وَلَكِنْ كَانُوا يُرِيدُونَ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَسُدُّ عَنْهُمُ الْجُوعَ وَيُقَوِّيهِمْ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَمِنَ اللِّبَاسِ مَا يَسْتُرُ عَوْرَاتِهِمْ وَيُكِنُّهُمْ مِنَ الحر والبرد.

وقال عبد الملك ابن مَرْوَانَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ زَوَّجَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ: مَا نَفَقَتُكَ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: الْحَسَنَةُ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ،) يعني الوسط بين الإسراف والإقتار(، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: كَفَى بِالْمَرْءِ سَرَفًا أَلَّا يَشْتَهِيَ شَيْئًا إِلَّا اشْتَرَاهُ فَأَكَلَهُ. وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ»، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَمْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَبْخَلُوا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ».

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَلا تَغْلُ فِي شَيءٍ مِنَ الأَمْرِ وَاقْتَصِدْ

كِلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

وَقَالَ عُمَرُ لابْنِهِ عَاصِمٍ: يَا بُنَيَّ، كُلْ فِي نِصْفِ بَطْنِكَ، وَلا تَطْرَحْ ثَوْبًا حَتَّى تَسْتَخْلِقَهُ (يعني يصبح الثوب باليًا)، وَلا تَكُنْ مِنْ قَوْمٍ يَجْعَلُونَ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ فِي بطونهم وعلى ظهورهم.

قال حاتم الطائي:

إِذَا أَنْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ

وَفَرْجَكَ نَالا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

(وَلَمْ يَقْتُرُوا): (لم يضيِّقوا)، عَنِ الأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ يُقَالُ للإِنْسَانِ إِذَا ضَيَّقَ: قَتَرَ يَقْتُرُ وَيَقْتِرُ، وَأَقْتَرَ يُقْتِرُ. قواما» بفتح القاف، يعنى عدلا. تفسير القرطبي (٧٤/١٣).

ضرر التقتير على الأولاد:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» صحيح مسلم ح٢٥٧٨.

(واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم) قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة. قال جماعة: الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور، والشح عام، وقيل: الشح: الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده) صحيح مسلم (١٩٩٦/٤).(شرح محمد فؤاد عبد الباقي).

كثير من المربين والآباء يقتّرون على أولادهم في النفقة بداع وبدون داع، مما يجعل أولادهم يشعرون بالعَوَز والنَّقص، ويحسون بالحاجة والحرمان، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال بطريقة أو بأخرى، إما بالسرقة، أو بسؤال الناس، أو بالارتماء في أحضان رفقة السوء وأهل الإجرام؛ لتعويض ذلك النقص، خاصة إذا غاب الوازع الديني والتربية الحسنة، فإن الولد حينئذ يجد متنفسه بين هؤلاء الأشرار الذين يوهمونه بأنهم العوض البديل عن حياة الذل والفقر تحت سلطان الأب. فيبدأ الابن في البيات خارج البيت، والتخلف عن مدرسته ودروسه، وهو بذلك قد ركب طريق الفشل والانحراف. كل ذلك من جراء بخل والديه والتقتير عليه.

ثواب النفقة على العيال:

عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ دِينَارٍ أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقَهُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ» . قَالَ أَبُو قِلابَةَ: وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ عَزَّ وجل؟ صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٨٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ: دِينَارًا أَعْطَيْتَهُ مِسْكِينًا، وَدِينَارًا أَعْطَيْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارًا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارًا أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَفْضَلُهَا الَّذِي أنفقته على أهلك». صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٨١).

وقفة مع الآباء الفقراء:

قد يكون حال الأبوين ضعيفًا بسبب فقر وحاجة، وعندها سيكون الحرمان والإقتار شيئًا مفروضًا، مع تلك الأسرة عامة وعلى الأولاد خاصة، عند ذلك يجب على الأبوين تلقين الأبناء الرضا والقناعة، وأن الله سبحانه وتعالى خلق الناس وفضل بعضهم على بعض في الرزق، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يعيشون على الكفاف، ويمر الشهران ولا يوقد في بيت النبي صلى الله عليه وسلم نار، ويُلَقَّن الأبناء أن عامة أهل الجنة الفقراء وأول من يدخلها من الناس فقراء المهاجرين، وذلك إذا صبروا على الحال التي قسمها الله تعالى لهم، بذلك يتدرب الأولاد على الصبر والشكر، وعلى الرضا بالقليل والقناعة بما قسم الله سبحانه.

فلا يشعر الأولاد بالحرمان، بل ينتظرون ما عند ربهم الرحمن.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع فسوف يكون لنا معه لقاء آخر، ونسأل الله الهداية والتوفيق.

قصة أضحية فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة (٢٠٦)

تحذير الداعية من القصص الواهية

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ في هذا الشهر حتى يوم النحر، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية مرفوعة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: المتن:

رُوِيَ عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا فَاطِمَةُ، قُومِي فَاشْهَدِي أُضْحِيَّتَكِ، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلْتِيهِ، وَقُولِي: إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ"، قَالَ عِمْرَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكَ وَلأَهْلِ بَيْتِكَ خَاصَّةً، فَأَهْلُ ذَاكَ أَنْتُمْ، أَوْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؟ قَالَ: "بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً".

ثانياً: التخريج:

١- أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحاكم في «المستدرك» (٢٢٢/٤) قال: أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، حدثنا إسماعيل بن قتيبة، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا النضر بن إسماعيل البجلي، حدثنا أبو حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن عمران بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا فاطمة قومي إلى أضحيتك...» القصة.

قلتُ: ومن طريق أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير، عن عمران بن حصين أخرجه:

٢- أخرجه الإمام الحافظ البيهقي في «السنن» (٢٣٨/٥)، وفي «الشعب» (٦٥/١١).

٣- وأخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٠/٢٨٩/١٨).

وفي المعجم الأوسط (٢٤٧/٣) ح(٢٥٣٠) وقال: «لا يروى هذا الحديث عن عمران بن الحصين إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو حمزة». اهـ.

ثالثاً: التحقيق:

١- مما أوردناه آنفًا يتبين من قول الإمام الحافظ الطبراني: أن هذا الحديث غريب عن سعيد بن جبير، تفرد به عنه أبو حمزة الثمالي.

فائدة: هذا التفرد الذي أثبتناه مهم جدًا في الصناعة الحديثية، حيث يتبين منه أن حديث عمران بن حصين تفرد به أبو حمزة ولا يوجد لأبي حمزة متابع.

٢- وأبو حمزة الثمالي هو علة هذا الحديث وكما بينا من قول الإمام الحافظ الطبراني في «الأوسط» أن أبا حمزة تفرد به فلا يوجد له متابع؛ حيث إن المتابع يكون للراوي أبي حمزة مما فوقه كما هو مبين من الاعتبار بالاستقراء من التخريج لحديث عمران بن حصين فلا يوجد متابع لأبي حمزة، ولا من فوقه وهو شيخه سعيد بن جبير فلا متابعة تامة ولا قاصرة.

٣- أمَّا ما دون أبي حمزة فقد رواه عنه تلميذه النضر بن إسماعيل البجلي إمام مسجد الكوفة واشتهر عنه فرواه عنه:

أ- علي بن الجعد، ومعقل بن مالك، وابن عائشة، وعبد الرحمن بن بكر بن مسلم عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣٩/١٨) ح(٦٠٠)، ومعقل بن مالك عند الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤٧/٣) ح(٥٣٠).

ب- ورواه عنه عُبيد الله بن معاذ، ومعقل بن مالك عند البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٣٩/٥)، ومعقل بن مالك عند البيهقي في «الشعب» (٦٥/١١).

جـ- ورواه عنه أبو بكر بن أبي شيبة عند الحاكم

في «المستدرك» (٢٢٢/٤).

الاستنتاج:

نستنتج من هذا الاعتبار بالاستقراء من هذا التخريج أن النضر بن إسماعيل البجلي تلميذ أبي حمزة الثمالي اشتهر عنه الحديث فرواه عنه ستة رواة، يتابع بعضهم بعضًا.

٤- أوهام الجمع والتفريق:

قد يتوهم من لا دراية له بعلم الرجال أن أبا حمزة الثمالي، وثابت بن أبي صفية الكوفي اثنان، وهذا من أوهام التفريق وهو عد الواحد اثنين فأكثر، ومقابله أوهام الجمع وهو عد الاثنين فأكثر واحدًا، لذلك صنَّف الإمام الحافظ الخطيب البغدادي كتابه العظيم والذي سماه «الموضح لأوهام الجمع والتفريق».

٥- ولما كانت علة هذا الحديث أبا حمزة الثمالي بيّن الحافظ الخطيب البغدادي في «الموضح لأوهام الجمع والتفريق» (١٠٣/٥٢٤/١) أنه هو ثابت بن أبي صفية الكوفي حيث ذكر اسمه في «الترجمة (١٠٣) قال:

«ذِكْرُ ثابت بن أبي صفية الكوفي»، ثم قال: «وهو أبو حمزة الثمالي الذي روى عنه النضر بن إسماعيل البجلي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار الأصبهاني، حدثنا أحمد بن محمد بن أشتة الأصبهاني، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا النضر بن إسماعيل إمام مسجد الكوفة، حدثنا أبو حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن عمران بن الحصين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا فاطمة قومي فاشهدي أضحيتك...» القصة.

٦- لذلك قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٩٣/٢) (٣١١/٣): «ثابت بن أبي صفية واسم أبي صفية دينار الأزدي الكوفي». اهـ.

٧- بيان مرتبة أبي حمزة الثمالي:

أ- قال الإمام ابن عدي: «سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: أبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي صفية: واهي الحديث». اهـ.

ب- وقال النسائي: «أبو حمزة ثابت بن أبي صفية ليس بثقة». اهـ.

ج- وقال: سمعت ابن حماد يقول: «ثابت بن أبي صفية أبو حمزة ليس بثقة». اهـ.

د- وقال: حدثنا ابن أبي بكر، حدثنا العباس عن يحيى، قال: «أبو حمزة الثمالي ليس بشيء». اهـ.

ثم ختم الحافظ ابن عدي ترجمته بعد أن أخرج أحاديث من مناكيره، قال: «ولأبي حمزة هذا أحاديث وضعفُه بيِّن على رواياته». اهـ.

م- ونقل الإمام الحافظ الذهبي أقوال أئمة الجرح والتعديل والتي أخرجها الإمام الحافظ ابن عدي في أبي حمزة الثمالي وأقرها الذهبي في «الميزان» (١٣٥٨/٦٣/١).

رابعًا: تساهل الحاكم ورد الذهبي:

ولا يغتر من لا دراية له بالصناعة الحديثية بقول الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، فبالاستقراء والتحقيق، وجدناه لتساهله قال هذه العبارة في أحاديث لا تصح، بل في أحاديث من الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يسمى بالموضوع وعلى سبيل المثال لا الحصر ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٦١٧/٢) في قصة لقاء نبينا صلى الله عليه وسلم مع إلياس، وأن طوله أكثر من ثلاث مائة ذراع، وأنه يأكل في كل سنة يومًا، وكان يوم لقائه نبينا صلى الله عليه وسلم يوم فطر إلياس، فنزلت عليهما مائدة من السماء، حتى قال أنس: فأكلا وأطعماني، وصلينا العصر وودعه ثم رأيته على السحاب نحو السماء». اهـ.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

فتعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص» فقال: «بل موضوع قبَّح الله من وضعه، وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى أن يصحح هذا الإسناد». اهـ.

خامسًا: الاستنتاج:

نستنتج مما ذكرناه آنفًا: أن قصة أضحية فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم قصة واهية، راويها الذي انفرد بها واهي الحديث ليس بثقة وليس بشيء، بل ثبت أنه غالٍ في التشيع؛ حيث قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين»

(٢٠٦/١): «ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي من أهل الكوفة مولى المهلب بن أبي صفرة، واسم أبي صفية: دينار، كثير الوهم في الأخبار حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد مع غلوه في تشيعه». اهـ.

قلتُ: ولقد ثبت تفرده بقول الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط»: «لا يروى هذا الحديث عن عمران بن الحصين إلا بهذا الإسناد تفرد به أبو حمزة». اهـ.

قلتُ: ومما دلَّ على غلو أبي حمزة في تشيعه القصة التي أخرجها الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» عندما حضره الإمام ابن المبارك ليكتب عنه فوجده ينال من الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان، فقام ابن المبارك فأخذ كتابه فمزقه ثم نهض ومضى». اهـ.

سادسًا: طريق آخر للقصة: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

١- أخرجه الحافظ أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٤١/١) ح(٣٥٥- ط. دار الحديث) قال: أخبرنا سليمان بن إبراهيم، حدثنا علي بن باشاذة، حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن علي الأسواري، حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا عمرو بن خالد مولى بني هاشم، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا فاطمة قومي فاشهدي أضحيتك، فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما أنها تجاء بدمها ولحمها فيوضع في ميزانك سبعين ضعفًا، فقال أبو سعيد: يا رسول الله، هذا لآل محمد خاصة فإنهم أهل لما اختصوا به من الخير أو لآل محمد والمسلمين عامة؟ قال: لآل محمد والمسلمين عامة». اهـ.

٢- وأخرج الإمام البيهقي في «السنن» (٢٨٣/٩) من طريق عمرو بن خالد عن محمد بن علي عن آبائه عن علي بن أبي طالب مرفوعًا، وقال البيهقي: «عمرو بن خالد ضعيف». اهـ.

٣- قلت: والإمام البيهقي أشار إلى حديث علي بن أبي طالب في «السنن» (٢٣٩/٥) عقب حديث عمران بن حصين من غير أن يذكر سنده ومتنه فقال: «وروى عن عمرو بن خالد بإسناده عن علي- وعمرو بن خالد متروك». اهـ.

٤- قلت: لقد تردد الإمام البيهقي في الراوي عمرو بن خالد فمرة قال: «متروك»، كما في الجزء الخامس من «السنن»، وأخرى قال: «ضعيف»، كما في الجزء التاسع، وهل قوله في الجزء التاسع نسخ ما قاله في الجزء الخامس، أم قوله: «ضعيف» قول عام، وقوله: «متروك» بيان لدرجة الضعف من أجل ذلك لا بد من التحقيق لبيان أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه.

٥- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٢٣/٥) (١٢٨٩/٣٢٢):

أ- حدثنا ابن حماد، قال: حدثنا عباس، قال: سمعت يحيى بن معين يقول: «عمرو بن خالد كوفي كذاب غير ثقة ولا مأمون». اهـ.

ب- وحدثنا محمد بن علي قال: حدثنا عثمان قال: سمعت يحيى بن معين يقول: «عمرو بن خالد كوفي كذاب».

جـ- وأخبرنا الحسن بن سفيان قال: حدثني عبد العزيز بن سلام قال: حدثني أحمد بن ثابت أبو يحيى قال: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: عمرو بن خالد الواسطي كذاب». اهـ.

د- وحدثنا أبو عروبة، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن الحسين بن دربة قال: حدثنا الحسين بن علي الواسطي قال: سمعت وكيعًا يقول: «كان عمرو بن خالد في جوارنا يضع الحديث، فلما فُطِنَ له تحول إلى واسط». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين سبب قول الحافظ ابن عدي في صدر ترجمة عمرو بن خالد: «الكوفي انتقل إلى واسط». اهـ.

وهذه الأقوال لأئمة الجرح والتعديل نقلها الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٣٥٩/٢٥٧/٣) وأقرها، وذكر قول النسائي: «ليس بثقة»، وقول الدارقطني: «كذاب». اهـ.

قلتُ: بهذا يتبين أن عمرو بن خالد كذاب ليس بثقة ولا مأمون يضع الحديث، فهذه القصة من حديث علي بن أبي طالب واهية موضوعة، وهذا الطريق يزيد القصة وهنًا على وهن.

ملحوظة:

- هناك من اتهم الإمام البيهقي بالتساهل في عمرو بن خالد، حيث إنه لم يقف إلا على قوله في «الجزء الخامس» ضعيف، وغاب عنه قوله في الجزء التاسع: «متروك»، وهذا للإنصاف.

- كذلك لا يغرنك من تساهل وحسن حديث علي هذا، فقد غاب عنه أقوال أئمة الجرح والتعديل في الراوي عمرو بن خالد والذي انفرد بحديث علي بن أبي طالب وهو الوضاع الكذاب، غير ثقة ولا مأمون.

سابعًا: طريق ثالث للقصة من حديث أبي سعيد الخدري:

رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا فاطمة قومي إلي أضحيتك فاشهديها فإن لك بكل قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك. قالت: يا رسول الله، ألنا خاصة أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟ قال: بل لنا وللمسلمين». اهـ.

١- أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٢٢/٤)، والبزار في «مسنده» (١٢٠٢/٩/٢ - كشف الأستار) من طريق داود بن عبد الحميد، حدثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

٢- قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧/٤): «رواه البزار وفيه عطية بن قيس وفيه كلام كثير وقد وثق». اهـ.

قلتُ: والحافظ الهيثمي يكون بقوله هذا مقلدًا للحافظ المنذري في كتابه «الترغيب» (١٠٠/١) (ح١٦٦٢)، حيث قال المنذري: «رواه البزار، وأبو الشيخ بن حيان في «كتاب الضحايا» وغيره، وفي إسناده عطية بن قيس: وثق وفيه كلام». اهـ.

٣- قلتُ: وفي قول الحافظين- عفا الله عني وعنهما-: «وفي إسناده عطية بن قيس» قول فيه نظر، حيث إن علة هذا الخبر لم يكن (عطية بن قيس)، وهذا من أوهامهما رحمهما الله، حيث إن الإمام البزار في «مسنده» والحاكم في «المستدرك» كل منهما ذكر الراوي (عطية) في السند مجردًا عن اسم أبيه ونسبه فتوهما أنه (عطية بن قيس)، ولكن بالاستقرار والتحقيق من الأئمة الذين أخرجوا هذا الحديث تبين أنه: (عطية العوفي)، وليس (عطية بن قيس)، وبرهان ذلك:

أ- فقد أخرجه الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤٦٣/٣٧/٣) من طريق عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

ب- وأخرجه أبو يعلى الفراء في «أماليه» (ح٦٨) من طريق عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

هـ- وقال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤٥٤٠/٩٠/١٣): «عطية بن سعيد بن جنادة العوفي روى عن: أبي سعيد الخدري وآخرين، وروى عنه عمرو بن قيس الملائي وآخرون». اهـ.

كما في سند حديث أبي سعيد هذا، ولا يوجد هذا لعطية بن قيس كما في «تهذيب الكمال» (٤٥٤٥/٩٤/٣).

د- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «العلل» (١٥٩٦/٣٩/٢): «سألت أبي عن حديث حدثنا به إسحاق بن إبراهيم البغوي، عن داود بن عبد الحميد عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وذكر الحديث فسمعت أبي يقول: «هو حديث منكر». اهـ.

م- وقال الإمام الذهبي في «التلخيص» (٢٢٢/٤- مستدرك): «عطية واه». اهـ.

قلت: فالقصة واهية من حديث أبي سعيد أيضًا، وعطية العوفي كان شيعيًّا مدلسًا يخطئ كثيرًا؛ كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٤/٢)، لذلك قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٧٦/٢): «لا يحل الاحتجاج به ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحلقة (٣٧)

أدلة السنة بعد القرآن: تبطل ادعاءات الأشاعرة في حملهم (الاستواء) في الآيات على معنى: (الاستيلاء).. وحملهم (العرش) و(الكرسي) على معنى: (سعة ملكه وعلمه)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد سبق أن ذكرنا من أدلة القرآن وأوجه دلالتها من قرائن اللغة، ما به تقام الحجة على بطلان تأويل الأشاعرة صفة (الاستواء) بحقه تعالى على الوجه اللائق بجلاله؛ بـ(الاستيلاء)، وأوضحنا عدم جواز ذلك في لغة العرب التي بها نزل القرآن.. ونشير هنا إلى ما تيسر من الأحاديث باعتبارها هي الأخرى قرائن شرعية، فنذكر من:

أ- أدلة السنة على إثبات صفة الاستواء لله تعالى:

١- ما أخرجه الشافعي في مسنده وعبد الله بن أحمد في السنة، وجمع ابن أبي داود طرقه، من حديث أنس عن فضل يوم الجمعة وتسميته بيوم المزيد، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن جبريل: (وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش).

٢- ما جاء عن ناس من أصحاب النبي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ البقرة/٢٩)، وفيه: (إن الله كان على عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسمَّاه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً ثم فتقها فجعلها سبع أرضين)، إلى أن قال: (فلما فرغ الله من خلق ما أحب، استوى على العرش) أخرجه الذهبي في العلو (٥٤)، وهو في مختصره للألباني ص١٠٥ وبه قوله معلقاً: «إسناده جيد».

٣- حديث ابن مسعود، قال: (العرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)، أخرجه الذهبي في العلو (٤٨) وقال: «رواه عبد الله بن أحمد في السنة واللالكائي والطلمنكي والبيهقي وابن عبد البر، وإسناد صحيح».

٤- حديث قتادة بن النعمان وفيه قوله عليه السلام: (لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه)، رواه الخَـلَّال في كتاب السنة، والذهبي في العلو (٣٨) قائلاً: «رواته ثقات»، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص٣٤ قائلاً: «إسناده صحيح على شرط البخاري».

٥- حديث عبد الله بن سلام -فيما أخرجه ابن مندة في التوحيد، والذهبي في العلو (٩٦) قائلاً: «إسناده صحيح»- قال: (بدأ الله خلق الأرض فخلق سبع أرضين يوم الأحد والاثنين، وقدر فيها أقواتها يوم الثلاثاء والأربعاء، واستوى إلى السماء فخلقهن في يومين.. وذكر الحديث).

٦- حديث أبي هريرة الذي فيه أن النبي أخذ بيده فقال: (يا أبا هريرة: إن الله خلق السموات والأرضين في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع.. الحديث)، وقد خرّجه الألباني في الصحيحة (١٨٣٣)، وفي المختصر (٧١) قائلاً: «الحديث جيد الإسناد».

٧- حديث الصحابي الجليل أبي رزين العقيلي، قال: قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟، قال: (كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء؛ ثم خلق العرش فاستوى

عليه) رواه أبو داود وابن ماجة وقال الذهبي: إسناده حسن وصرح بعضهم منهم الألباني في المختصر ص١٨٦ بالخلاف في صحته، ورواه الترمذي وحسنه لكن بلفظ: (وخلق عرشه على الماء)، ومراده بـ(العماء): ليس معه شيء.

٨- حديث أبي هريرة وهو في الصحيحين، وفيه قوله عليه السلام: (إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)، وهو صريح في استوائه تعالى، إذ لا يعقل أن يكون الكتاب عنده فوق العرش إلا إذا كان هو فوق العرش مستوياً عليه كما أخبر عن نفسه.

٩- ما أخرجه البخاري وغيره عن عمران بن حصين، قال: قال أهل اليمن: يا رسول الله! قد بشرتنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟، قال: (كان الله قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ ذِكر كل شيء، وخلق السموات والأرض.. الحديث)، وهو بتمامه في معنى ما سبق.

١٠- ما أخرجه البخاري وغيره من قوله عليه السلام: (من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها)، قالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس بذلك؟، قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه في وسط الجنة وأعلا الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تُفجَّر أنهار الجنة).

١١- حديث عبادة بن الصامت وفيه قوله عليه السلام: (الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومن فوقها العرش، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس)، أخرجه الذهبي في العلو وقال: «رواته ثقات»، وقال الألباني في مختصره ص١٠٧: «إسناده صحيح كما قال الحاكم.. وكما بينته في الصحيحة (٩٢١) والحديث أخرجه أيضاً أحمد والترمذي».

١٢- قوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود: (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي.. الحديث)، وقد أورده الذهبي في العلو (٦٩)، والألباني في مختصره قائلاً: «أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ص١٧٧ وقال المؤلف في الأربعين ١/١٨٦ حديث صحيح».

١٣- ما رواه البخاري في حديث الشفاعة وفيه: (فيأتوني فأستأذن على ربي في داره، فيُؤذن لي.. فيُحدّ لي حدًّا، فأخرج فأدخلهم الجنة)، ويفسره حديث أنس من رواية زائدة بن أبي الرقاد: (فأدخل على ربي وهو على عرشه تبارك وتعالى) وقد ذكره الذهبي في العلو (١٦) وضعفه.

١٤- قوله عليه السلام -فيما أخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة بإسناد قوي من حديث أنس-: (فآتي باب الجنة فيُفتح لي، فآتي ربي وهو على كرسيه فأخر له ساجداً).

١٥- ما رواه البخاري من حديث أبي ذر، قال: كنت مع النبي في المسجد عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنما تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ) يس/٣٨).. وقد أخرجه النسائي عن أبي نعيم شيخ البخاري بلفظ: (تذهب حين تنتهي تحت العرش عند ربها)، وزاد (ثم تستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها.. الحديث).

١٦- إقراره عليه السلام وضحكه عن سماعه لشعر ابن رواحة وسيأتي ذكره.. وكذا قوله عليه السلام: «وأنا أشهد»، حين أنشده حسان قائلاً - فيما رواه عنه ابن أبي العز في شرحه الطحاوية ص٢٢٧ وابن القيم في اجتماع الجيوش ص٣٨، ١٢٣-:

شهدت بإذن الله أن محمداً
رسول الذي فوق السماوات من عَلُ
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما
له عمل من ربه متقبلُ
وأن الذي عادى اليهود - ابنَ مريم
رسولٌ أتى من عند ذي العرش مرسلُ
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم
يجاهد في ذات الإله ويعدلُ

١٧- ما رُوي عن عليٍّ من أن رسول الله حدَث عن ربه قال: (وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي،

ما من أهل قرية ولا بيت، ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي فتحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي، إلا تحولتُ لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي)، رواه ابن أبي شيبة في كتاب (العرش) والعسال في كتاب (المعرفة) وغيرهما.

١٨- ما جاء من أحاديث تشتمل على مادة (استوى) غير الصفة، تبطل تأويل (الاستواء) بـ(الاستيلاء والقهر) وتثبت معنى (الارتفاع)، من نحو ما جاء في الصحيح: من (أن النبي كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبّر ملبياً).. وقول علي: (أتي رسول الله بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الغرز، قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها، قال: الحمد لله) إلى آخر ذلك.

ب- وأدلتها في إثبات (العرش) دلالة على استوائه تعالى عليه، وأن (الكرسي) موضع القدمين بلا تكييف ولا تجسيم ولا مماسة:

١٩- ومما تضمن إثبات الاستواء وحمله على ظاهره بلا تأويل: ما جاء من نصوص في ذكر العرش وأوصافه وفوقيته، ونذكر من ذلك - غير قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ التوبة/١٢٩)، ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ الإسراء/٤٢)، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء/٢٢)، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون/١١٦)، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ الزمر/٧٥)، ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ غافر/١٥)، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ الحاقة/١٧)، ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ التكوير/٢٠)، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ البروج/١٤، ١٥)، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ هود/٧).. إلى آخر ذلك.

قوله عليه السلام في حديث مسلم لبعض زوجاته: (لقد قلتُ بعدكِ أربع كلمات لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته).. وقوله في حديث أبي هريرة: (ما طَرَف صاحب الصور منذ وُكِّل به مستعداً ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريـان)، أخرجه الحاكم وصححه.. وقوله من حديث عائشة فيما أخرجه مسلم: (الرحم معلقة بالعرش، تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله).. وقوله من طريق ابن عباس: (يؤتى بالمقتول متعلقاً بالقاتل وأوداجه تشجب دماً حتى يُنتهي به إلى العرش، يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني).. وقوله فيما أخرجه أحمد وحسّن إسناده من حديث العرباض: (يقول الله: المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي).. وقوله: (لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى متعلق بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أحوسب بصعقة الطور أو بعث قبلي) والحديث متفق على ثبوته.. وقوله كما حديث جابر في الصحيحين -وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم -: (اهتز لها عرش الرحمن).. وعنه مرفوعاً وإسناد صحيح كما في العلو (٧٥): (أذن لي أن أحدِّث عن ملك من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام).. وقوله من حديث أبي ذر ورواته ثقات: (إن الآيتين من آخر سورة البقرة، أوتيتهن من تحت العرش لم يؤتهما نبي قبلي).. وقوله من حديث أبي قتادة وإسناده صحيح كما في المختصر (٩٠): (من ترك لغريمه أو تجاوز عنه كان في ظل العرش يوم القيامة).. إلخ.

٢٠- ما جاء من نصوص في إثبات (الكرسي) وأنه موضع القدمين، ونذكر من ذلك من غير ما سبق: الآية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ البقرة/٢٥٥).. وقوله عليه السلام عنها فيما أخرجه أحمد بسند صحيح: (إن لهذه الآية لساناً وشفتين تقدّس الملك عند ساق العرش).. وقوله لأبي ذر فيما أخرجه ابن حبان في صحيحه والألباني في العلو (١٠٥): (يا أبا ذر؛ ما السموات السبع مع الكرسي، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة).. وقوله -فيما رواه أبو موسى الأشعري ووثق رجاله الألباني في (مختصر العلو ص١٢٤-: (الكرسي موضع القدمين)، وبنحوه روى الدارقطني في الصفات موقوفاً على ابن عباس وقال الحاكم: صحيح على شرط الصحيحين، لكن بزيادة (ولا يَقْدُرُ قدرَ العرش شيء).

وبالطبع فالآثار في ذلك أكثر من أن تحصى، وحسبنا منها قول أبي قلابة -وهو في العلو (١٠٣) وغيره-: لما أهبط الله آدم قال: (يا آدم إني مُهبط

معك بيتاً يُطاف حوله كما يُطاف حول عرشي، ويُصلى عنده كما يُصلى عند عرشي)، فلم يزل كذلك حتى رُفع الطوفان، فكانت الأنبياء تحجه، يأتونه فلا يعرفون موضعه، حتى بوأه الله إبراهيم عليه السلام.. وقول مالك بن دينار -وهو في العلو ص٩٧-: (خذوا) فيقرأ، ثم يقول: (اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه).. وقول سليمان التيمي: «لو سئلت: أين الله؟، لقلت: في السماء، فإن قال: فأين عرشه قبل أن يخلق السماء؟، لقلت: على الماء، فإن قال لي: أين كان عرشه قبل أن يخلق الماء؟، لقلت: لا أدري».

جـ- وجه دلالة أحاديث ونصوص السنة على إثبات صفة الاستواء دون تأويل:

كذا بما يفيد صراحة أو ضمناً: إثبات استوائه تعالى بذاته على عرشه بلا مماسة ولا تكييف ولا تجسيم، ودحض شبهة من رد ذلك بحجة أن ما ذكر يقتضي تحولاً وتغييراً، وبيان أن ذلك إنما يكون بحق المخلوق، أما الخالق فمن غير مشابهة للحوادث وعلى الوجه اللائق به، فهو كمجيئه وإتيانه وتكليمه موسى ونحو ذلك مما دلت عليه النصوص، «لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أن لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عليه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله»، وتلك هي عقيدة أهل السنة قاطبة كما حكاها الذهبي في العلو ص١٠٤، وهي التي ندين لله بها ونُشهده عليها، فلا نتأوّل ولا نفوّض ولا نتخوض فيما استأثر الله بعلمه.

وبما يفيد: أن من أعظم خصائص عرش الرحمن استواءه تعالى عليه، وأنه خلقه بيده وأنه لا يَقدُر قدره سواه، ومن ثمّ أضافه لنفسه ووصفه ورسولُه بالعظمة والكرم، فهو سبحانه ذو العرش المجيد الفعال لما يريد، وأن استواءه عليه كان بعد خلق السماوات والأرضين، وأنهما بالنسبة للكرسي الذي بين يدي العرش والذي هو موضع القدمين له جل وعلا كحلقة في فلاة، وأنها جميعاً بالنسبة للعرش كذلك، فالعرش كالقبة التي تسع ما تحتها كما جاء في الخبر، وهو أثقل الموزونات وأكبر المخلوقات وأقربها إلى الله الغني عن كل ذلك، وعرشه سقف (الفردوس) التي هي أعلى مكان في الجنة، وله قوائم تحملها ملائكة عظام، وأنه أول ما خلق الله على الراجح، لأنه تعالى لما قدر مقادير الخلائق بالقلم الذي أمره أن يكتب في اللوح كان عرشه على الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء الذي كان على متن الريح دخاناً فارتفع فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً ثم فتقها فجعلها سبعاً، فهو ماء غير الذي نعرف، لحديث ابن عمر الموقوف، وهو في المختصر (٣٥) وإسناده صحيح: (جعل الله فوق السماء السابعة الماء، وجعل فوق الماء العرش)، ولأثر ابن عباس وقد سئل على أي شيء كان الماء؟، قال: (على متن الريح) وهو صحيح كما في (الأسماء) للبيهقي ص٥٢٥، ولمكانة الرحم فقد تعلقت بالعرش وبه يُظل الله بعض عباده، ويُؤذن بإشراق شمس كل يوم إلى أن يشاء سبحانه، فهو ليس مما يفنى أو يطوى يوم القيامة بل هو باق بإبقاء الله له.

وبما يؤكد: عدم صحة ما جنح إليه المتأولة بأن (الاستواء) (استيلاء)، وأن (العرش) عبارة عن (ملكه تعالى وسعة سلطانه)، وأن (كرسيه): (علمه)، بل وبما يجزم ببطلان كل ما فاه به الأشاعرة من تكييفات وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، وإلا فبالله عليك: هل يصح حمل المعنى ببعض ما مضى على معنى: (ثم استولى على العرش)، أو على تقدير: (لما فرغ الله من خلقه استولى على عرشه) فيكون مستولياً على العرش دون سائر مخلوقاته، أو (ثم استولى إلى السماء)؟، أو يؤول الحديث على معنى: (المُلك فوق الماء، والله فوق المُلك لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)، وكذا سائر ما جاء بشأن العرش؟، أو يكون التقدير: (العلم موضع القدمين)، و(ما السموات السبع مع العلم، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على العلم كفضل الفلاة على الحلقة)، أو أن يقال عن آية الكرسي: إنها آية العلم؟، اللهم إن هذا إفك مبين وبهتان عظيم..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.

باب التربية



التربية على آداب الأكل

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: «كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا غُلَامُ! سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. (متفق عليه).

قال أبو حامد الغزالي: «إن مقصدَ ذوي الألبابِ لقاءُ الله تعالى في دار الثواب، ولا طريقَ إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل، ولا تمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سَلَامَةُ الْبَدَنِ إلَّا بالأَطْعِمَةِ وَالأَقْوَاتِ وَالتَّنَاوُلِ مِنْهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ عَلَى تَكَرُّرِ الأَوْقَاتِ، فَمِنْ هَذَا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين: «كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا» (المؤمنون: ٥١)، فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوي به على التقوى صار أكله مدفعة للوزر، ومجلبة للأجر، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ» (متفق عليه). وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين، مراعياً فيه آدابه ووظائفه. (إحياء علوم الدين (٢/٢-٧)).

وَهَا نَحْنُ نُرْشِدُ إِلَى وَظَائِفِ الدِّينِ فِي الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها، فنقول وبالله التوفيق: للأكل آدابٌ كثيرةٌ، مِنْهَا آدابُ قَبْلَ الأَكْلِ، وَآدابٌ عَلَى الأَكْلِ، وَآدابُ بَعْدَ الأَكْلِ.

وأَمَّا آدابُ مَا قَبْلَ الأَكْلِ فَهِيَ:

١- أَنْ يَسْتَطْيِبَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ بِأَنْ يَعُدَّهُمَا مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ الْخَالِي مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» (البقرة: ١٧٢)، وَالطَّيِّبُ هُوَ الْحَلَالُ الَّذِي لَيْسَ بِمُسْتَقْذَرٍ وَلَا مُسْتَخْبَثٍ.

٢- أَنْ يَنْوِيَ بِأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ التَّقْوِيَةَ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، لِيُثَابَ عَلَى مَا أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ، فَالْمُبَاحُ يَصِيرُ بِحُسْنِ النِّيَّةِ طَاعَةً يُثَابُ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ.

٣- أَنْ يَغْسِلَ يَدَيْهِ قَبْلَ الأَكْلِ إِنْ كَانَ بِهِمَا أَذًى، أَوْ لَمْ يَتَأَكَّدْ

مِنْ نَظَافَتِهِمَا.

٤- أَنْ يَضَعَ طَعَامَهُ عَلَى سُفْرَةٍ فَوْقَ الأَرْضِ لاَ عَلَى مَائِدَةٍ، إِذْ هُوَ الأَقْرَبُ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَلِقَوْلِ أنس رضي الله عنه: «مَا أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى خُوَانٍ وَلاَ فِي سُكُرُّجَةٍ». (صحيح البخاري ٥٣٨٦).

قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِي- رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وَاعْلَمْ أَنَّا وَإِنْ قُلْنَا الأَكْلَ عَلَى السُّفْرَةِ أَوْلَى، فَلَسْنَا نَقُولُ الأَكْلُ عَلَى المَائِدَةِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ نَهْيَ كَرَاهَةٍ أَوْ تَحْرِيمٍ، إِذْ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ نَهْيٌ».

٥- أَنْ يَجْلِسَ مُتَوَاضِعًا، بِأَنْ يَجْثُوَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَيَجْلِسَ عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ، أَوْ أَنْ يَنْصِبَ رِجْلَهُ اليُمْنَى، وَيَجْلِسَ عَلَى اليُسْرَى، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْلِسُ، وَلِقَوْلِهِ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ».(البغوي في شرح السنة (٢٨٣٩)).

٦- أَنْ يَرْضَى بِالْمَوْجُودِ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَنْ لاَ يَعِيبَهُ، وَلَكِنْ إِنْ أَعْجَبَهُ أَكَلَ، وَإِنْ لَمْ يُعْجِبْهُ تَرَكَ، لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم طَعَامًا قَطُّ، كَانَ إِذَا اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلاَّ تَرَكَهُ».(متفق عليه)

٧- أَنْ يَجْتَمِعَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَى الطَّعَامِ عَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّا نَأْكُلُ وَمَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُفْتَرِقِينَ، اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ». (صحيح سنن أبي داود: ٣١٩٩).

وَأَمَّا الآدَابُ حَالَ الأَكْلِ فَهِيَ:

١- أَنْ لاَ يَبْدَأَ بِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ وَفِي الْمَجْلِسِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ بِالتَّقْدِيمِ لِكِبَرِ سِنٍّ أَوْ زِيَادَةِ فَضْلٍ، لأَنَّ ذَلِكَ مُخِلٌّ بِالآدَابِ، مُعَرِّضٌ صَاحِبَهُ لِوَصْفِ الْجَشَعِ الْمَذْمُومِ، قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَإِذَا مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ.

٢- أَنْ يَرْضَى بِمَا قُدِّمَ لَهُ، وَلاَ يَسْأَلُ عَمَّا غَابَ عَنْهُ.

٣- أَنْ يَبْدَأَهُ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ عَلَى الطَّعَامِ يُبَارِكُ فِيهِ، وَيَمْنَعُ مِنْهُ الشَّيْطَانَ: فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ». (صحيح سنن أبي داود: ٣٢٠٢)

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ». (ص.ت: ١٨٥٨)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهم قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ». (صحيح مسلم ٢٠١٨).

٤- أَنْ يَأْكُلَ بِثَلاَثَةِ أَصَابِعَ مِنْ يَدِهِ اليُمْنَى، وَأَنْ يُصَغِّرَ اللُّقْمَةَ، وَيُجِيدَ الْمَضْغَ، وَأَنْ يَأْكُلَ مِمَّا يَلِيهِ مِنْ حَافَّةِ الإِنَاءِ لاَ مِنْ وَسَطِهِ:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَأْكُلُ بِثَلاَثِ أَصَابِعَ فَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا». (صحيح مسلم ٢٠٣٢).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ». (متفق عليه)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهم أَنَّ

رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلاَ يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا». (صحيح مسلم (٢٠٢٠)).

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ، قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ، قَالَ: لاَ اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ». (صحيح مسلم (٢٠٢١)).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ». (صحيح جامع الترمذي:١٨٠٥)

٥- أَنْ لاَ يَنْفُخَ فِي الطَّعَامِ الْحَارِّ، وَأَنْ لاَ يَطْعَمَهُ حَتَّى يَبْرُدَ، وَأَنَّ لاَ يَنْفُخَ فِي الْمَاءِ حَالَ الشُّرْبِ، وَلْيَتَنَفَّسْ خَارِجَ الإِنَاءِ ثَلاَثًا.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الإِنَاءِ ثَلاَثًا».(متفق عليه)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى أَنْ يُنْفَخَ فِي الشَّرَابِ». (صحيح جامع الترمذي:١٨٨٧)

٦- إِذَا سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فَلاَ يَتْرُكُهُ، بَلْ يَأْخُذُهُ وَيُمِيطُ عَنْهُ الأَذَى وَيَأْكُلُهُ:

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهم قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ». (صحيح مسلم ٢٠٣٣).

٧- أَنْ لاَ يُحوجَ رَفِيقَهُ أَوْ مُضِيفَهُ إِلَى أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُلْ، وَيُلِحَّ عَلَيْهِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ فِي أَدَبِ كِفَايَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ أَوْ تَكَلُّفٍ لِلْحَيَاءِ، إِذْ فِي ذَلِكَ إِحْرَاجٌ لِرَفِيقِهِ أَوْ مُضِيفِهِ، كَمَا فِيهِ نَوْعُ رِيَاءٍ، وَالرِّيَاءُ حَرَامٌ.

٨- أَنْ يُرْفِقَ بِرَفِيقِهِ فِي الأَكْلِ، فَلاَ يُحَاوِلُ أَنْ يَأْكُلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَلاَسِيَّمَا إِذَا كَانَ الطَّعَامُ قَلِيلاً، لأَنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ آكِلاً لِحَقِّ غَيْرِهِ.

عَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُحَيْمٍ قَالَ: كُنَّا أَصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَرَزَقَنَا تَمْرًا، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهم يَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ نَأْكُلُ فَيَقُولُ: «لاَ تُقَارِنُوا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنِ الإِقْرَانِ، إِلاَّ أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ». (صحيح البخاري ٥٤٤٦).

٩- أَنْ لاَ يَنْظُرَ إِلَى الرُّفَقَاءِ أَثْنَاءَ الأَكْلِ، وَأَنْ لاَ يُرَاقِبَهُمْ فَيَسْتَحْيُوا مِنْهُ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ عَنِ الأَكَلَةِ حَوْلَهُ، وَأَنْ لاَ يَتَطَلَّعَ إِلَيْهِمْ إِذْ ذَلِكَ يُؤْذِيهِمْ، كَمَا قَدْ يُسَبِّبُ لَهُ بُغْضَ أَحَدِهِمْ فَيَأْثَمُ بِذَلِكَ.

١٠- أَنْ لاَ يَفْعَلَ مَا يَسْتَقْذِرُهُ النَّاسُ عَادَةً، فَلاَ يَنْفُضُ يَدَهُ فِي الْقَصْعَةِ، وَلاَ يُدْنِي رَأْسَهُ مِنْهَا عِنْدَ الأَكْلِ لِئَلاَّ يَسْقُطَ مِنْ فَمِهِ شَيْءٌ، وَأَنْ لاَ يَتَكَلَّمَ بِالأَلْفَاظِ الَّتِي يَشْمَئِزُّ مِنْهَا الْحَاضِرُونَ وَيَتْرُكُونَ بِسَبَبِهَا الطَّعَامَ.

١١- أَنْ يَكُونَ أَكْلُهُ مَعَ الْفَقِيرِ قَائِمًا عَلَى إِيثَارِهِ، وَمَعَ الإِخْوَانِ قَائِمًا عَلَى الانْبِسَاطِ وَالْمُدَاعَبَةِ، وَمَعَ ذَوِي الرُّتَبِ وَالْهَيْئَاتِ عَلَى الأَدَبِ وَالاحْتِرَامِ.

١٢- أَنْ يَقُومَ عَنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ، وَيَتَجَنَّبَ الشَّبَعَ الْمُفْرِطَ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ». (صحيح جامع الترمذي:٢٣٨٠)

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، والحمد لله رب العالمين.

خير الناس من واساهم؟

وفاة الشيخ أبي مالك محمد إبراهيم شقرة

تلقينا فجر اليوم- الاثنين-٢٣/ شوال/١٤٣٨هـ الموافق ١٧/٧/٢٠١٧م نبأ وفاة والدنا وشيخنا أبي مالك محمد إبراهيم شقرة، بعد سنين عانى فيها من المرض، وأسأل الله تعالى أن يؤتيه ما وعده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

وبهذه المناسبة أقول:

إنَّ الدُّنيا دارُ ابْتلاءٍ، لم يَسْلَمْ فيها من الأقْدار المُؤْلِمَة أحدٌ حتَّى الأنْبياء، والمُبْتَلى إنسانٌ جريحٌ بحاجَةٍ إلى مَنْ يأسُو جِراحَه، وإنْسَانٌ مهْمُومٌ مغْمُومٌ بحاجَةٍ إلى مَنْ يُخفِّفُ عنْه أتْراحَه، والابْتِلاءُ مُخْتلفٌ ومُتنوِّع.

يقولُ ابنُ القيِّم-رحِمَهُ اللهُ-: «المُواسَاةُ للمُؤمنين أنْواعٌ: مُواسَاةٌ بالمَال، ومُواسَاةٌ بالجَاه، ومُواسَاةٌ بالبدَن والخِدْمَة، ومُواسَاةٌ بالنَّصيحَة والإرْشاد، ومُواسَاةٌ بالدُّعاء والاسْتغْفَار، ومُواسَاةٌ بالتوجُّع.

قال: وعلى قدْر الإيمان تكونُ هذه المُواساة، فكُلَّما ضَعُفَ الإيمانُ ضَعُفَت المُواسَاةُ وكُلَّما قَوِيَ قَوِيتْ، وكان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أعْظَمَ النَّاس مُواسَاةً لأصْحَابه بذلك، وكانَ أقْواهُم إيماناً أعْظَمَهمْ مَواسَاةً له صلى الله عليه وسلم ».

وهكذا كان والدنا (الأستاذ أبو مالك) كما كان يلقبه شيخنا الألباني رحمهما الله.

فلقد كان وجيهًا في الدنيا، فبذل جاهه لكل من احتاجه، ومشى في حاجته حتى يقضيها الله، وكان يعود المرضى، ويتبع الجنائز، ويساعد الأرملة والمسكين.

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

وقد نصح لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، فقضى حياته في الدعوة إلى الله، وإخلاص الدين له، وعبادته وحده لا شريك له، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والتأسي به، كما نصح-رحمه الله- لأئمة المسلمين بالدعاء لهم، وتأليف القلوب عليهم، والتحذير من الخروج عليهم، ونصح لعامة المسلمين بدعوتهم التي بذل فيها حياته من خلال خطب الجمعة والدروس والمواعظ التي كان يلقيها في مسجده والذي كان شيخنا الألباني-رحمه الله-يقصده للصلاة مع (الأستاذ أبي مالك) كما كان يلقبه.

وإذا كان الأستاذ أبو مالك قد انقطع عمله بموته فإن عمله متواصل بأثره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»، وقد ترك-رحمه الله- علمًا مسموعًا ومقروءًا، سيظل طلاب العلم ينهلون منه وينتفعون به ما بقيت الدنيا، كما ترك خمسة من أولاده لصلبه، نحسبهم من الصالحين ولا نزكيهم على الله، وترك أولادًا لم يلدهم-وأنا أحدهم، ولله الحمد- وأرجو الله أن يجزي الوالد أبا مالك عني خير الجزاء، فلقد كنت أعده والدًا، وكان يعدني ولدًا، وكنت أستشيره في أموري كلها، وجعل الله لي في رأيه الخير الكثير.

وأختم بما ختم به-رحمه الله-كلمته التي كتبها في موت شيخنا إمام السنة الألباني-

رحمه الله-: «وحقًا إنه لمصاب سابغ جلل، وخطب جسيم لا يحتمل، وبلاء وبيل مروع. ومع عظم البلاء يكون عظم الأجر، وعظم الأجر لا يكون إلا وصوبه الصبر، ومن سخط فله السخط، ومن رضي كان له الرضا، ولا يخفف من شدة البلاء مثل ثلاث: عموم البلاء، والصبر على شدته، والأجر الذي يوفاه الصابرون، ورابعة هي وكاء الثلاث: ذكر موت النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته فيَّ، فإنها من أعظم المصائب».

اللهم آجرنا في مصيبتنا، واخلف لنا خيرًا منها، واجمعنا تحت لواء الحمد، لواء محمد صلى الله عليه وسلم.

تهنئة واجبة

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص التهنئة للشيخ جمال عبد الرحمن محمد إسماعيل، عضو اللجنة العلمية بالمجلة، وذلك بمناسبة حصوله على درجة التخصص (الماجستير) بقسم التفسير وعلوم القرآن بتقدير عام ممتاز.

وكان موضوع رسالته: «تفسير الإمام ابن جرير الطبري بين الرواية والدراية، دراسة منهجية».

وتكونت لجنة المناقشة من كلٍّ من:

الأستاذ الدكتور/ محمد أبو هاشم محمد علي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر، مشرفًا.

والأستاذ الدكتور/ شعبان عطية، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر، مناقشًا.

والأستاذ الدكتور/ حسنين الشافعي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر، مناقشًا.

وأسرة التحرير تتمنى للباحث دوام التوفيق والتقدم والرقي.

عزاء واجب

تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام بخالص العزاء لفرع أنصار السنة بقطور في وفاة المهندس صلاح عطية الغزالي، المهندس بإذاعة القرآن الكريم، وعضو مجلس إدارة الفرع.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتقدم بخالص العزاء إلى الإخوة أعضاء فرع قطور، سائلين الله تبارك وتعالى أن يتغمد الفقيد بالمغفرة والرحمة.

معالم الهدى في البيت العتيق

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي جعل بيته الحرام قيامًا للناس، وجعله مثابة للناس وأمنًا، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى جعل في الأرض معالم يهتدي بها السالكون إلى طريقه المستقيم، ومن أول هذه المنارات المضيئة ومن أقدمها الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، قال الله تعالى: « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ » (آل عمران:٩٦).

ومفردات هذه الآية الكريمة تحتاج إلى تدبر لتستوعب المقصود منها، فقوله تعالى: « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ » (آل عمران:٩٦)، ولكي نستوعب معاني هذه المفردات استيعابًا صحيحًا لا بد من ربطها بما سبقها وما لحقها، أي: نربط هذه الآية بما سبقها وما لحقها، بل بكل ما جاءت في القرآن وله بها علاقة، فهذه محاور مهمة بالأولية، والمقصود وكونه وُضع للناس كل الناس وهدى للعالمين كل العالمين، ومعلوم أن لفظ العالمين جمع عالم؛ فالبيت هداية لعالم الإنس والجن والطير، وغير ذلك من العوالم، فهداية البيت تشمل ذلك كله، وهذا حديث طويل لا يستوعبه مقال واحد، ولكننا نوجز القول إيجازًا، ونستخلصه استخلاصًا فيما يلي:

أولاً: علاقة الآية بما قبلها:

١- جاءت الآية السابقة (٩٦) من أول آل عمران بعد مساجلة طويلة أقامها القرآن الكريم بالحجة والبيان لدحض مزاعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذلك المشركين، واتخذوا من ذلك مسوّغًا لكفرهم وتكذيبهم بالدين الذي اختاره الله للناس كافة وبالكتاب الذي أنزله الله هدى للناس كل الناس، وبالنبيِّ الخاتم الذي أرسله الله رحمة للعالمين وخاتمًا للنبيين.

وقبل ذلك وبعده كفروا بتوحيد الله رب العالمين.

٢- ونحن نذكر فيما يأتي أمثلة من إقامة الحجة عليهم ودحض مزاعم يقرر القرآن حقيقة واضحة جلية تقضي على كل مزاعمهم بوضوح في قوله تعالى: « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (آل عمران:٦٧).

ثم قرر بعدها مباشرة من هم أولى الناس بإبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » (آل عمران:٦٨).

فأولى الناس بإبراهيم عليه السلام بعد الذين اتبعوه في حياته هو هذا النبي الأمي والذين آمنوا به من المسلمين، لأنهم على ملته التي جاء يدعو إليها وهم ورثة البيت الذي رفع قواعده إبراهيم واسماعيل.

لذلك جاءت الآيات تترى ترد عليهم بالحجة والبرهان منها على سبيل المثال قوله تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (آل عمران: ٧٠- ٧١).

لماذا تكفرون بآيات الله الواضحة على صدق النبي الذي تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، وتحرِّفون الحق بالباطل وتكتمون الحق الذي لا تستطيعون تحريفه؛ وقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين ومنهم موسى وعيسى أن يؤمنوا بهذا النبي ويأمروا أقوامهم أن يؤمنوا به، وقد فعلوا ذلك، قال الله تعالى: « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (آل عمران:٨١، ٨٢)، وهذا النبي هو محمد ودينه الذي ارتضاه الله هو الإسلام، وهذا الذي أكدته الآيات التالية: « قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (آل عمران:٨٤، ٨٥).

٣- والعجيب في الأمر أن اليهود كانوا يؤمنون بمحمد

صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث، وكانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج في المدينة يقولون لهم: قرب زمان نبي سيظهر ونتبعه ونقتلكم به قتل عاد وإرم؛ فلما جاء الرسول من العرب كفروا به.

قال تعالى: «وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ » (البقرة:٨٩)، وقال عنهم في موضع آخر: «ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (البقرة:١٤٦).

وقال في آل عمران: «كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ » (آل عمران:٨٦).

٤- ثم انتهت هذه المساجلة والحوار الطويل إلى دعوتهم باتباع ملة إبراهيم حنيفًا الذي رفع قواعد هذا البيت، ودعا ربه أن يبعث في هذه الأمة المسلمة رسولاً منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجبُ على الخلق جميعًا اتباعه، ولذا قال تعالى: «قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ » (آل عمران: ٩٥-٩٧).

ثانيا: حول معنى الآيات السابقة:

هنا يوجِّه القرآن الكريم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول لليهود والنصارى والمشركين وجميع من يسمع هذا القرآن، قل لهم: صدق الله فيما أخبر عن أنبيائه ورسله وعن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومن أراد الهداية فعليه أن يتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، وقد أخبر سبحانه في موضع آخر وقال: «وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ » (البقرة:١٣٠)، يعني: لا يترك ملة إبراهيم إلا سفيه، وملة إبراهيم هي دين الإسلام الذي جاء محمد صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله في أكناف البيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقالا وهما يرفعان البناء: «رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ » (البقرة:١٢٨)، ثم قالا: «رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » (البقرة:١٢٩).

إن الله سبحانه وتعالى جعل في الأرض معالم يهتدي بها السالكون إلى طريقه المستقيم، ومن أول هذه المنارات المضيئة ومن أقدمها الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.

وقد استجاب الله هذا الدعاء وبعث في الأميين (العرب) رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحكمة، وقد ختم الله به رسالته وتمت به كلمته صدقًا وعدلاً للخلق أجمعين.

هذا، وقد صرَّح القرآن تصريحًا لا يحتمل الجدال ولا اللبس في قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ » (النحل:١٢٣)، وفي قوله تعالى: «قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ » (الأنعام:١٦١).

٢- هذا، وقد بعث الله رسوله الخاتم في أكناف البيت الذي بناه إبراهيم والذي قال عنه سبحانه: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ » (آل عمران:٩٦)، هو أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله من عهد آدم عليه السلام، وقد رجح هذا الرأي جمع من العلماء منهم: عطاء وسعيد بن المسيب وابن الجوزي والشيخ الأمين الشنقيطي، واستدلوا بما جاء في القرآن من إشارات تدل على ذلك؛ منها قوله تعالى: «وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ » (البقرة:١٢٥)، ولا يعهد إليها بتطهير البيت إلا إذا كان موجودًا، ومنها: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ » (البقرة:١٢٧)، فالقواعد كانت موجودة فكان البيت موجودًا قبل ذلك وهُدم مع طوفان نوح، ثم أعاد إبراهيم البناء.

ومنها قوله تعالى: «رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى

زرع عند بيتك المحرم» (إبراهيم:٣٧)، وقوله تعالى: «وإذْ بوّأنا لإبْراهيمَ مكانَ البيْت» (الحج:٢٦)، أي عرفناه وفي كل ذلك إشارة إلى أن وجود البيت سابق لإبراهيم، وإنما كان لإبراهيم تجديد البناء وهناك أولية نسبية بالنسبة للمسجد الحرام والمسجد الأقصى، كما جاء في حديث أبي ذر في الصحيحين، قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام». قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قال: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة».

فإبراهيم عليه السلام هو الذي أسّس المسجدين والقبلتين؛ المسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في القدس؛ لأن الله تعالى جعله للناس إمامًا، ثم اختار الله للناس البيت الحرام ليكون معلمًا للهداية يبعث خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال سبحانه: « إنّ أوّل بيتٍ وُضع للنّاس» (آل عمران:٩٦)، جمع الناس، « للّذي ببكّة» (آل عمران:٩٦) أي: الذي بمكة، وبكة من أسماء مكة، وهو إشارة إلى أن جعل الله مكة تبك (تقطع) أعناق الطغاة الذين أرادوا سوءًا بالبيت في الطواف.

« وُضع للنّاس» (آل عمران:٩٦) وُضع للناس ليعبدوا الله فيه، ولذا قال سبحانه: « وإذ جعلنا البيت مثابة للنّاس وأمنًا واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى» (البقرة:١٢٥)، وقد عهد إلى إبراهيم وإسماعيل بهما إعداد البيت وتطهيره من رجس الأوثان فقال سبحانه: « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطّائفين والعاكفين والرّكّع السّجود» (البقرة:١٢٥)، وقال تعالى: « جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للنّاس والشّهر الحرام والهدي والقلائد» (المائدة:٩٧)، وقال تعالى مخاطبًا إبراهيم عليه السلام: « وأذّن في النّاس بالحجّ يأتوك رجالًا وعلى كلّ ضامرٍ يأتين من كلّ فجٍّ عميقٍ» (الحج:٢٧)، فالأول لكل الناس والاستجابة لمن هداه الله، كما جاء واضحًا بعد ذلك في قوله تعالى: « ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين» (آل عمران:٩٧).

هنا بوضوح جعل الله الاستجابة لدعوة إبراهيم والتي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم علامة فارقة بين الكفر والإيمان، فمن جحد هذا الركن من الإسلام فقد كفر بإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، والذي اعترف بدينهم من قبل أبناء يعقوب حين كانوا على الهدى وسألهم أبوهم يعقوب عند موته ما تعبدون من بعدي؟ وقد سجل القرآن الكريم هذه الشهادة فقال الله تعالى: «أمْ كنْتُمْ شهداء إذْ حضر يعْقوب الْموْتُ إذْ قال لبنيه ما تعْبُدون منْ بعْدي قالوا نعْبُدُ إلهك وإله آبائك إبْراهيم وإسْماعيل وإسْحاق إلهًا واحدًا ونحْنُ له مُسْلمُون» (البقرة:١٣٣)، فالإله الواحد المستحق للعبادة سبحانه هو إله جميع الخلق وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى ومحمد، وهذا هو الإسلام الذي جاء به أنبياء الله وختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وجعل الله حج بيته الحرام علامة فارقة بين الهدى والضلال، ولذا قال: «ومنْ كفر فإنّ الله غنيٌّ عن الْعالمين» (آل عمران:٩٧)، والسياق هنا لا يزال موجهًا لأهل الكتاب الذين جحدوا ذلك ولكل من جحد، ولذلك قال بعدها مباشرة: «قُلْ يا أهْل الْكتاب لم تكْفُرُون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعْملُون (٩٨) قُلْ يا أهْل الْكتاب لم تصُدُّون عنْ سبيل الله منْ آمن تبْغُونها عوجًا وأنْتُمْ شُهداءُ وما الله بغافلٍ عمّا تعْملُون» (آل عمران:٩٨، ٩٩)، فأهل الكتاب لم يكفروا فقط بدين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومحمد، بل يعملون جاهدين لصد الناس عن هذا السبيل، ولذلك كان المناسب جدًا أن في الآية التالية مباشرة هذا التحذير للذين آمنوا بالله ورسله، «يا أيُّها الّذين آمنُوا إنْ تُطيعُوا فريقًا من الّذين أوتُوا الْكتاب يرُدُّوكُمْ بعْد إيمانكُمْ كافرين» (آل عمران:١٠٠).

ثم يأتي بعدها تعجب وأوامر من الأهمية بمكان لتوجيه الأمة المسلمة في مسيرتها إلى الله، نذكرها مجملة دون تعليق: «وكيْف تكْفُرُون وأنْتُمْ تُتْلى عليْكُمْ آياتُ الله وفيكُمْ رسُولُهُ ومنْ يعْتصمْ بالله فقدْ هُدي إلى صراطٍ مُسْتقيمٍ (١٠١) يا أيُّها الّذين آمنُوا اتّقُوا الله حقّ تُقاته ولا تمُوتُنّ إلا وأنْتُمْ مُسْلمُون (١٠٢) واعْتصمُوا بحبْل الله جميعًا ولا تفرّقُوا واذْكُرُوا نعْمة الله عليْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أعْداءً فألّف بيْن قُلُوبكُمْ فأصْبحْتُمْ بنعْمته إخْوانًا وكُنْتُمْ على شفا حُفْرةٍ من النّار فأنْقذكُمْ منْها كذلك يُبيّنُ الله لكُمْ آياته لعلّكُمْ تهْتدُون» (آل عمران: ١٠١-١٠٣).

وقد يكون لنا معها وقفة إن أذن الله لنا في البقاء ومكننا الله من اللقاء، وإلى ذلك استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وإلى لقاء بإذن الله تعالى.

من روائع الماضي

حجة النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة الثانية

إعداد/ زكريا حسيني
رحمه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين... وبعد:

فقد سبق معنا في العدد الماضي ذكر حديث جابر بن عبد الله في سياق حجة النبي صلى الله عليه وسلم كاملاً، وبدأنا في شرح أجزاء من الحديث، وفي هذا العدد نستكمل شرح الحديث فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قوله: «وأهلّ الناس بهذا الذي يهلّون به فلم يردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا منه ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته».

نقل النووي عن القاضي عياض أن في ذلك إشارة إلى ما روي من زيادة الناس في التلبية من الثناء والذكر كما روي عن عمر رضي الله عنه في ذلك أنه كان يزيد: «لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبًا منك مرغوبًا إليك». وعن ابن عمر: «لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل». وعن أنس: «لبيك حقًا تعبدًا ورقًا».

قال القاضي: قال أكثر العلماء: المستحب الاقتصار على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه قال مالك والشافعي، ولا بأس بالزيادة، فقد أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: «حتى أتينا البيت» فيه بيان أن السنة للحاج أن يدخلوا مكة قبل الوقوف بعرفات ليطوفوا للقدوم وغير ذلك.

قوله: «حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا»، فيه أن المحرم إذا دخل مكة قبل الوقوف بعرفة يسن له طواف القدوم وهو مجمع عليه، وفيه أن الطواف سبعة أشواط، وفيه أن السنة الرَّمَلُ في الثلاثة الأشواط الأولى والمشي في الأربعة الأخيرة، والرمل عبارة عن إسراع المشي مع تقارب الخطا، وهذا يكون في طواف القدوم في الحج وفي طواف العمرة، وكذلك الاضطباع في هذا الطواف سنة، وهو أن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه الأيمن ويجعل طرفيه فوق عاتقه الأيسر ويكون عاتقه الأيمن مكشوفًا.

> السنة للحاج أن يدخلوا مكة قبل الوقوف بعرفات ليطوفوا للقدوم وغير ذلك

قوله: «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم- عليه السلام- فقرأ: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فجعل المقام بينه وبين البيت». قال النووي: فيه دليل على ما أجمع عليه العلماء أنه ينبغي لكل طائف إذا فرغ من طوافه أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف، فإن لم يكن خلف المقام ففي المسجد وإلا ففي مكة وسائر الحرم، وهما سنة على الصحيح.

قوله: «وكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم.. كان يقرأ فما الركعتين: قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، ومعنى هذا أن محمد بن علي يروي ما رواه جابر عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركعتي الطواف، فكان صلى الله عليه وسلم

يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون، وبعد الفاتحة في الركعة الثانية: قل هو الله أحد.

قوله: «ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا»، فيه دليل أنه يستحب للطائف طواف القدوم أو أطواف العمرة إذا فرغ من الطواف وصلاته خلف المقام أن يعود إلى الحجر الأسود فيستلمه، ثم يخرج من باب الصفا ليسعى، واتفقوا على أن هذا الاستلام سنة وليس بواجب ولو تركه لم يلزمه شيء.

قوله: «فلما دنا من الصفا قرأ: «إن الصفا والمروة من شعائر الله»، ثم نزل إلى المروة» قال النووي- رحمه الله-: في هذا اللفظ أنواع من المناسك: منها أن السعي يشترط أن يبدأ من الصفا، ومنها أنه ينبغي أن يرقى على الصفا، وهذا الرُّقي مستحبٌ ليس بشرط ولا واجب، ومنها أنه يسن أن يقف على الصفا مستقبل الكعبة حتى يرى البيت إن أمكنه، ويذكر الله- تعالى- الذكر المذكور ويدعو، ويكرر الذكر والدعاء ثلاثًا.

قوله: «ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى إذا صعدتا مشى حتى أتى المروة» فيه استحباب السعي الشديد في بطن الوادي وهو ما بين العلمين الأخضرين الآن، فإذا جاوزهما مشى باقي المسافة، وهذا السعي مستحب وليس بواجب وهو الإسراع.

قوله: «فقام سراقة بن مالك جُعْشم فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبد» فيه دليل على أن العمرة دخلت في أشهر الحج لأبد الأبد، وبه أبطل النبي صلى الله عليه وسلم قول الجاهلية: «إن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور».

قوله: «فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت فأنكر ذلك عليها»؛ فيه إنكار الرجل على زوجه ما يراه من نقص في دينها لأنه ظن أن ذلك لا يجوز فأنكره.

قوله: «إني أهلُّ بما أهَلَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيه جواز تعليق الإحرام بإحرام كإحرام فلان.

قوله: «فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي»، إنما قصروا ولم يحلقوا لأنهم أرادوا أن يبقى شعر يحلق في الحج، فلو حلقوا لم يبق شعر، فكان التقصير هنا أحسن ليحصل في النسكين إزالة شعر.

قوله: «فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج» يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة.

قوله: «فخطب الناس» فيه استحباب الخطبة للإمام بالحجيج يوم عرفة في هذا الموضع، وهو سنة باتفاق جماهير العلماء.

قوله صلى الله عليه وسلم: «إن دماءكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا». معناه متأكدة التحريم شديدته، وفي هذا دليل لضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير قياسًا.

أبطل النبي صلى الله عليه وسلم أمر الجاهلية فقال: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع».

قوله: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع...» إلى قوله: «كله» فيه إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها وأنه لا قصاص في قتلها، وأن الإمام أو غيره ممن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله، فهو أقرب إلى قبول قوله، وقوله في الربا: «موضوع كله» أي الزائد عن رأس المال.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»، فيه الوصية بالنساء

والحث على مراعاة حقهن ومعاشرتهن بالمعروف، وقوله: «بكلمه الله» أي: الإيجاب والقبول، وقيل معناه قوله- تعالى-: «فإمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان»، وقيل: المراد كلمة التوحيد، وقيل: المراد بإباحة الله والكلمة قوله- تعالى-: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء».

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه» معناه: ألا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيًا أو امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك. قال النووي: وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه.

قوله: «ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف.... إلى قوله حتى غاب القرص». فيه تعجيل الذهاب إلى الموقف إذا فرغ من الصلاتين، ومنها الوقوف راكبًا وهو جائز وقيل أفضل، واستحباب الوقوف عند الصخرات، وقد ظن بعض العوام أنه لا بد من صعود الجبل وهذا خطأ، فقد وقف النبي صلى الله عليه وسلم عند الصخرات وقال كما في آخر الحديث: «وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف»، ففي أي جزء من عرفة وقف الحاج أجزأه.

واستحباب استقبال القبلة، وأن يبقى واقفًا حتى تغرب الشمس ويتحقق كمال غروبها ثم يفيض إلى مزدلفة، فلو أفاض قبل الغروب صح وقوفه وحجه ويجبر ذلك بدم، وأما وقت الوقوف فهو ما بين زوال الشمس يوم عرفة إلى طلوع الفجر يوم النحر، فمن حصل بعرفات في جزء من هذا الوقت صح وقوفه، ومن فاته ذلك فاته الحج، وأما قوله: «وجعل حبل المشاة» فحبل المشاة مجتمعهم، وحبل الزمل ما طال منه وضخم.

وقوله: «وقد شنق للقصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك رحله». معنى شنق: ضمَّ وضيق والمَوْرك هو الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه. وقوله: «ويقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة السكينة» أي: الزموا الطمأنينة، فإذا وجد فرجة يسرع كما ثبت في الحديث الآخر.

«وعرفة كلها موقف»، ففي أي جزء من عرفة وقف الحاج أجزأه.

قوله: «حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئًا» فيه فوائد؛ منها أن السنة للدافع من عرفة أن يؤخر المغرب إلى وقت العشاء ثم يجمع بينهما في المزدلفة في وقت العشاء، فلو صلاهما في عرفات في وقت المغرب أو في الطريق أو في موضع آخر وصلى كل واحدة في وقتها جاز جميع ذلك لكنه خلاف الأفضل.

وقال أبو حنيفة: يشترط أن يصليهما في مزدلفة، وعند مالك لا يصليهما قبل المزدلفة إلا من به عذر أو بدابته بشرط كونها بعد مغيب الشفق، ومنها: أنه يصلي الصلاتين بأذان واحد وإقامتين، ومنها أنه لا يفصل بينهما بنافلة وهذا معنى قوله: «لم يسبح بينهما».

قوله: «ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة» فيه أن المبيت بمزدلفة ليلة النحر نسك وهو واجب على أصح أقوال العلماء يجبر تركه بدم، والسنة أن يبقى في مزدلفة حتى يصلي بها الصبح، إلا الضعفة فيسن لهم الدفع قبل الفجر، ويصدق المبيت على قضاء معظم الليل.

قال النووي- رحمه الله-: والسنة أن يبالغ

بتقديم صلاة الصبح في هذا الموضع ويتأكد التبكير بها في هذا اليوم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يسن الأذان والإقامة لهذه الصلاة، وكذلك غيرها من صلوات المسافر، وقد تظاهرت الأدلة الصحيحة على الأذان والإقامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر كما في الحضر.

قوله: «ثم ركب القصواء...» إلى قوله: ودفع قبل أن تطلع الشمس» فيه أن الوقوف عند المشعر الحرام من مناسك الحج وأنه لا يزال واقفًا فيه يدعو ويذكر حتى يسفر الصبح جدًا.

قوله: «وأردف الفضل بن عباس... إلى قوله: حتى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل» فيه الحث على غضّ البصر عن الأجنبيات وغضهن عن الرجال الأجانب، وفيه أن من رأى منكرًا وأمكنه إزالته بيده لزمه إزالته إن لم يَكْفِ فيه القول.

وقوله: «حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة». الجمرة التي عند الشجرة هي جمرة العقبة، وفيه أن السنة للحاج إذا دفع من مزدلفة فوصل منى أن يبدأ بجمرة العقبة، وفيه أن الرمي بسبع حصيات، وأن تكون مثل حصى الخذف يعني قدر حبة الفول أو الحمص ونحوها. وفيه أن يسن التكبير مع كل حصاة، وفيه رمي كل حصاة على حدة، ولا يجوز أن يرمي السبع جملة واحدة، وفيه أن السنة أن يقف للرمي في بطن الوادي بحيث تكون منى عن يمينه ومكة عن يساره، وفيه أن يوم النحر فيه رمي جمرة العقبة فقط ولا يشرع رمي غيرها في ذلك اليوم.

وقوله: «ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر» هذا الطواف هو طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج بإجماع المسلمين وأول وقته من بعد نصف ليلة النحر وأفضله بعد رمي جمرة العقبة وذبح الهدي والحلق، ويكون ذلك ضحوة يوم النحر، قال النووي ولا وقت لآخره، وشرطه أن يكون بعد الوقوف بعرفة، فلا يصح قبله، ويجوز تأخيره وجمعه مع طواف الوداع. والله أعلم.

وقوله: «فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم» إلى قوله: «فشرب منه» أما قوله صلى الله عليه وسلم: «انزعوا» فهو بكسر الزاي ومعناه استقوا بالدلاء، وأما قوله: «فأتى بني عبد المطلب» فمعناه أتاهم بعد فراغه من طواف الإفاضة.

السنة في جمع الصلوات أن تكون بأذان واحد وإقامتين.

وقوله: «يسقون على زمزم» معناه يغرفون بالدلاء ويصيبونه في الحياض ونحوها ويجعلونه سبيلاً للناس، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن يغلبكم الناس لنزعت معكم»، معناه لولا خوفي أن يعتقد الناس أن ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا العمل، وفيه استحباب شرب ماء زمزم. وقوله صلى الله عليه وسلم: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم ووقفت هنا وعرفة كلها موقف، ووقفت هنا وجمع كلها موقف»، فهذا بيان رفقه صلى الله عليه وسلم بأمته وشفقته عليهم في تنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر لهم الأكمل، والجائز، فالأكمل موضع نحره ووقوفه والجائز كل جزء من أجزاء منى وعرفة ومزدلفة.

نسأل الله أن يرزقنا حج بيته الحرام؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين: القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.